مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– ديسمبر ٢٠٢٤م

فينومينولوجيا الألم من منظور فلسفي دراسة تحليلية نقدية

د/ أسماء عرّيف (*)

ملخص البحث:

يعتبر الألم ظاهرة من الظاهرات الغامضة بالرغم من اتساع مداه كخبرة مشتركة بين البشر، باعتباره ذا مرجعية واحدة أي يُنسب للمتألم فقط، وخاص لا يظهر بالعين المجردة، بل بالوصف، ويختلف بناءً على معايير مختلفة. وقد سعت بعض النظريات الفلسفية كالبيانات الحسية التقليدية، والإدراكية، والتمثل في شرح ماهيته، وسماته، والفرق بين إدراكه كمحتوى ذهني، والشعور به كمحفز عصبي. إلا أن هذه النظريات لم تصل إلى الحد الذي يمكننا اعتبارها نظرية فلسفية كاملة. فكل نظرية تبدأ بتفسيره على أسس محددة، وحتى الآن لم يحدث اتفاق على طبيعة الألم سوى في أنه شعور سلبي، وغير محبب، ويعبر عن تلف جسماني. وعلى ذلك سوف أقوم بتحليل نماذج من نظريات الألم، ونقدها في ضوء ما توصلت إليه من جوانبها الإيجابية والسلبية.

كلمات مفتاحية: الألم، الفينومينولوجيا، الوعي، الشعور، الإدراك، التمثل، القصدية.

Phenomenology of Pain from a Philosophical Perspective: An Analytical and Critical Study.

Abstract

: Despite the widespread nature of pain as a shared human experience, it remains a puzzling phenomenon. As it is subjective reference attributed solely to the sufferer, pain is personal and cannot be seen directly but described. Its perception varies based on different criteria. Some philosophical theories Sense Data, Perceptual, and Representational theory eg. have endeavored to explain its nature, characteristics, and distinction between the cognitive perception and the neural sensation of pain. However, none of these theories have reached the level of fulfillment that would qualify it as an explained philosophical theory. Each theory begins by interpreting pain based on specific premises, and yet, there has been no consensus on the nature of pain beyond the fact that it is an unpleasant, undesirable feeling that indicates bodily damage. Therefore, I will analyze and criticize theories of pain as models, as well as present my own conclusions according to their positive and negative properties.

Keywords: Pain. Phenomenology. Awareness, Emotion. Perception. Representationalism. Intentionality.

(*) مدرس بقسم الفلسفة كلية الآداب جامعة بنها

المقدمة:

تعددت المجالات التطبيقية للفلسفة المعاصرة، فبعد أن شاركت الفلسفة في مطلع العصر الحديث في تحديد المناهج العلمية عن طريق بيكون Francis Bacon [ت ١٦٢٦]، وديكارت René Descartes [ت١٦٥٠]، قامت هذه المناهج بالتأثير العميق في المسار العلمي، والفلسفي الذي أدى بدوره إلى حدوث ثورة غير مسبوقة في شتى مناحي العلم، وعلى الرغم من هذا التطور العلمي، إلا أن الجدل حول ماهية "الألم" مازال قيد البحث من دون إجابات شاملة وواضحة. بالتأكيد أضافت النقاشات الفلسفية حول ماهية الألم كثير من التغيرات في فهم الألم الفهم الفلسفي عبر المنهج الفينومينولوجي*.

تطور مفهوم الألم حديثًا، فقديما كانت الفلسفة تناقش الألم في مقابل للذة منذ أبيقور Epicureanism** [٣٤١ – ٢٧٠] ق. م كمعيار للخير والشر. وقد تعددت محاولات تعريف الألم، حيث قال الطبيب توماس لويس Thomas Lewis [١٨٨١ – ١٩٤٥]**: "إن تعريف الألم تعريفًا مُرضيًا هو أمر غير ممكن، ولذلك فإن المحاولة نفسها لن تقدم ما يفيد. إن الألم مثله مثل بعض الأشياء الشخصية التي يمكننا أن ندرجها تحت مظلة "الخبرة" ونعبر عنها بالوصف".[1] إلا أن حديثًا تناولت الفينومينولوجيا الطب، فميزت بين الألم، والمرض. وعمل هذا التمييز على تحديد طبيعتي المرض الفيسيولوجية، والفينومينولوجية.[2]

---

* كان هسرل أول من أسس المنهج الفينومينولوجي رغبة في دراسة خبرة الوعي، وخبرة الأشياء، وخبرة الإنسان بذاته، وكانت خطواته كالتالي:

أ. تعليق الحكم: وفيه يبدأ البحث الفلسفي باستبعاد الفروض والأحكام السابقة لإقامة قضايا يقينية، ويسمى بالإيبوخية، وعن طريقه نصل إلى الماهية.

ب. البناء: وفيه يستبعد أي عنصر تجريبي لتكوين نظرية فلسفية من طبيعة قبلية.

ت. الإيضاح: تحليل البحث تحليلًا وصفيًا بحتًا خاليًا من أي تفسير.

قارن صفاء عبد السلام جعفر، الوجود الحقيقي عند هايدجر، منشأة المعارف، إسكندرية، 2000، ص.ص ٦٤-٦٥.

** أبيقور (٢٧٠-٣٤١ ق.م) هو فيلسوف يوناني قديم، وُلد في جزيرة ساموس لأبوين أثينيين. أسس مدرسة فلسفية تُعرف بـــ"الأبيقورية" في أثينا، حيث كان الهدف من فلسفته تحقيق حياة سعيدة وهادئة من خلال تحقيق الطمأنينة، وغياب الألم الجسمي (أبونيا). ركز أبيقور على أهمية الصداقة والعيش البسيط، ورأى أن اللذة هي الخير الأسمى، لكنها ليست اللذة الحسية فقط، بل تشمل اللذات العقلية والروحية. كما اعتقد أن الكون مكون من ذرات وفراغ، وأن الآلهة لا تتدخل في شؤون البشر.

Cp. Epicurus. Arts and Humanities Through the Eras

** توماس لويس Thomas Lewis: (١٨٨١ – ١٩٤٥) طبيب بريطاني متخصص في أمراض القلب ولد في كارديف، له بعض المؤلفات مثل: آلية نظم دقات القلب عام ١٩١١م، والألم عام ١٩٤٢م.

Cp. Hollman, A (1997) Sir Thomas Lewis Pioneer Cardiologist and Clinical Scientist, Springer, London, p xvii.

[1] Lewis, T (1942) Pain, The Macmillan company, New York, p v.

[2] Geniusas, S. (2020) The Phenomenology of Pain, Ohio University Press, Athens, p 1.

إشكالية البحث:

يسعى هذا البحث للإجابة عن التساؤلات التالية:

١- ما مفهوم الألم، وما طبيعته، وما أهم سماته؟

٢- ما الأسس التي تقوم عليها نظرية المعطيات الحسية في تفسير ظاهرة الألم؟

٣- ما أهم خصائص النظرية الإدراكية؟

٤- إلى أي مدى تمكنت النظرية الظرفية من تفسير ظاهرة الألم؟

٥- كيف فسرت نظرية التمثل ظاهرة الألم في ضوء الأسس التي تقوم عليها؟

٦- هل يمكن تمثل خبرة الألم، مثلما تتمثل في الذاكرة الخبرة المرئية؟

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على عدة مناهج؛ المنهج الفينومينولوجي الهيرمينوطيقي بعرض النظريات كما هي، وتفسيرها، والمنهج التحليلي النقدي في تفنيد كل نظرية ونقدها.

- **الألم Pain**

إن الألم هو تجربة حسية وعاطفية بغيضة متعلقة بضرر قد يكون في الألياف الجسدية، أو نفسي مصدره حدوث ما يعوق رغبةً ما. وقد اختلف الفلاسفة والعلماء عن معنى الألم، وقد ظل المفهوم الذي اقترحه أرسطو وغيره من الفلاسفة اليونانيين القدماء بأن "الألم هو شغف الروح" مقبولاً لسنوات طويلة[٣] وأن الألم واللذة هما معياري الفضيلة[٤] والألم هو إدراك ما يُنفِر مثلما قال المعتزلة[٥]، إلا أن إخوان الصفا قد أشاروا إلى أن بعض أنواع الألم يكون مصحوباً بلذة ومتعة.[٦] والشعور بالألم يُنسب إلى أماكن في الجسد، ويتمتع بخصائص محددة؛ مثل المساحة، والحدة، ومدة الشعور بها. ومن سمات الشعور بالألم أنه شخصي، وذاتي المعرفة. وهذه السمة هي أحد الأسباب الرئيسية وراء اهتمام الفلاسفة بشكل خاص بالألم. حيث أراد الفلاسفة تفسير ماهية الشعور بالألم

---

[3] Bonica J. J. (1991). History of pain concepts and pain therapy. *The Mount Sinai journal of medicine, New York*, *58*(3), 191–202.

[4] Cheng, Wei (2018) Aristotle's Vocabulary of Pain, *Philologus* 163(1), p 2. DOI: 10.1515/phil-2018-0008

[٥] عبد القاهر البغدادي، **الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية** منهم، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٩٨٢ ص ١٨٣.

[٦] مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ط ٥، باب الألف ص ٨٧.

انظر أيضاً رسائل إخوان الصفاء، ج٣، ص ٨١.

See Also IASP - Pain, Mind, and Movement

وكيف يمكن إدراكه، واختلفت النظريات الفلسفية – في فلسفة العقل* – التي تشرح هذه التساؤلات رغم ثبات الأساس الذي نبدأ منه أن الألم خاص وذاتي، ولا يمكن الوصول إليه إلا من خلال الوصف. وهو يشبه في ذاتيته عمليات إدراكية أخرى مثل الرؤية، والسمع، واللمس.[٧] وعلاج الألم يتأسس بناءً على ظاهرة الألم –الأعراض– أي أن المنهج الفينومينولوجي هنا هو المسار الرئيسي للربط بين الألم وطرق التعامل معه. وقد اكتسب الاهتمام بالألم أهمية بارزة في السنوات الأخيرة. وتعد هذه المحاولات في تعريف الألم رغبةً في التعرف على ماهيته سواء كان شعوراً سيئًا أم تلفاً جسمانياً ينال من جسم الإنسان، مع الأخذ في الاعتبار أن الألم هو "خبرة شخصية، وحقيقية". فقد كان مسعى هسرل Edmund Husserl [١٨٥٩ – ١٩٣٨]** في الفينومينولوجيا أن يرقى بها إلى أن تكون علماً للظواهر، خالية من الافتراضات المسبقة غير المبررة، أن تكون علماً وصفياً، يعرض الظواهر كما تظهر، دون تشويه أو تحريف.[٨] بما يتطلب من انصراف عن كل المعارف الفلسفية التي حصلها أو الحذر من استخدامها أثناء دراسة الألم[٩].

عرف هسرل الألم أنه شعور واع، ولكن لا يخرج عن كونه مجرد شعور، وقد سبقه في تعريف الألم فرانتس برنتانو Franz Brentano [١٨٣٨ – ١٩١٧]*** حيث اعتبره شعوراً وإدراكًا داخلياً لا مجال للشك فيه، هذا الشعور يكون موجهًا بشكل مباشر لمضمون الحس. والخبرة بالألم تشبه الخبرة مثلًا برؤية ألوانٍ ما أو سماع نغماتٍ ما، بيد أن هذه الخبرة سواء تمت عن طريق السمع

---

* فلسفة العقل Philosophy Of Mind: هي فلسفة معنية بالتأمل في طبيعة الظواهر العقلية وخاصةً علاقة العقل بالجسد، وبالعالم المادي والوعي بهما. ويندرج البحث في هذا المبحث من الفلسفة، بالمنهج الفينومينولوجي الهيرمينوطيقي الذي يتعدى الظاهرة المحضة –Pure Phenomenology– إلى التفسير كما دعا هايدجر.

Cp. Beckermann, Ansgar, Brian P. McLaughlin, and Sven Walter (eds), *The Oxford Handbook of Philosophy of Mind* (2009; online edn, Oxford Academic, 2 Sept. 2009) https://doi.org/10.1093/oxfordhb/9780199262618.001.0001, Accessed 15 September 2024.

See also Britannica - Philosophy of Mind Accessed 15 September 2024.

[7] Stanford Encyclopedia of Philosophy - Pain

** إدموند هسرلEdmund Husserl: (١٨٥٩ – ١٩٣٨) فيلسوف نمساوي ومؤسس الفينومينولوجيا في فلسفة القرن العشرين، ويعد من أكثر فلاسفة القرن تأثيراً، من أهم أعماله: الفلسفة كعلم صارم، الأفكار في الفينومينولوجيا الخالصة، فلسفة الحساب، بحوث منطقية.

Cp. Christopher Macann: Four Phenomenological Philosophers, Routledge, London, 1993, p 1.

[8] Geniusas, S (2020) The Phenomenology of Pain, Ohio University Press, Athens, p 14.

[٩] صفاء عبد السلام جعفر، الوجود الحقيقي عند هايدجر، منشأة المعارف، إسكندرية، ٢٠٠٠ ص ٦٠.

*** فرانز برنتانو Franz Brentano: (١٨٣٨ – ١٩١٧) فيلسوف ألماني، هو من قدم القصدية للفلسفة المعاصرة، له الكثير من الإسهامات الهامة في فلسفة العقل، والميتافيزيقا، والانطولوجيا، والمنطق، والأخلاق. تأثر بأرسطو، والوضعية، والمذهب التجريبي. أثر في هسرل، وستامبف، من أهم أعماله– بالألمانية–: "أرسطو ونظرته للعالم" ١٩١١، "أسس الأخلاق وبنيتها" ١٩٥٦، "تاريخ الفلسفة الحديثة" ١٩٨٧، "مراحل الفلسفة الأربع ووضعها الحالي" ١٨٩٥.

Cp. Franz Brentano - Stanford Encyclopedia of Philosophy Accessed 14 December 2024

أم الرؤية. تُنسب للأشياء الخارجية، أما الخبرة بالألم تكون داخلية شخصية.[١٠] وقد وأشار برنتانو إلى أنه يمكننا الخطأ بشأن الشعور بالحزن، لكنه من غير الممكن الخطأ في الشعور بالألم.[١١]

وقد كان الإسهام الأكبر في تحديد علاقة الألم بالعقل لديكارت ت. ١٦٥٠* حيث قال في علاقة الألم بالعقل أن الوعي بشعور الجسم بالألم يشبه "سحب طرف حبل يوجد في نهايته جرس فيتم ضرب الجرس في نفس لحظة سحب الحبل"[١٢].

إن تجلي الألم متعد الأوجه، حيث يشمل وصفه الأبعاد التالية:

- مكاني. (أين يقع في الجسم؟ وكيف هي مساحته؟)[١٣].
- زماني. (هل مؤقت أم مستمر؟)
- ذو طبيعة محددة من حيث شدته، وشكله. (أي شكل الألم، هل نصفه بأنه ألم حرق، أم وجع، أم وخز، وشتى أشكاله).

إذن هنا يطرح السؤال نفسه، كيف نفكر في سمات الألم التي نشرحها في حين أن حدوث الألم نفسه كما نصفه مؤلم، وبغيض، وإذا لم تكن هذه السمات ظاهرية، فما هذه السمات؟ تعد هذه السمات هي أثر الألم الذي يُضاف إلى فينومينولوجيا الخبرة بالألم، لذلك لا يمكن أن يعاني شخص من الألم دون أن يشعر بأعراض محددة للألم، فإذا كان مثلا يعاني من الصداع، ثم انصرف بتركيز وعيه على شيء ما مختلف فإن نسى هذا الصداع، إذا لهذه الفترة لم يكن يعاني من الصداع. فقد أكد ساول كريبك Saul Kripke [١٩٤٠ – ٢٠٢٢]** على أن الآلام التي لا نشعر بأعراضها، غير موجودة بالأساس. فالتشتت لا يمنع الوعي بوجود الألم.[١٤]

([10]) Geniusas, S. (2014). The Origins of The Phenomenology of Pain: Brentano, Stumpf and Husserl. *Continental Philosophy Review, 47*, p 4

([11]) Hardcastle, V. A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Jennifer Corns, Routledge, London 2017 p 22.

* رينيه ديكارت René Descartes: (١٥٩٦ – ١٦٥٠) رياضي بارع وفيلسوف عقلي متميز، قدم حجج عقلية لإثبات وجود الله، ووجود الذات، والعالم. من أهم أعماله (بالفرنسية): محاضرة حول المنهج عام١٦٣٧، تأملات في الفلسفة الأولى ١٦٤٢، رسالة عن الإنسان ١٦٦٤.

Cp. René Descartes - Stanford Encyclopedia of Philosophy Accessed 14 November 2024.

([12]) Descartes (1664) cp. Aydede, Murat. (2005). Introduction: A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain. 10.7551/mitpress/5211.003.0002. p 30.

[13] Brentano, F (1995) Descriptive Psychology, Translated and Edited by Benito Müller, Routledge, London, p 154.

** ساول كريبك Saul Kripke: (١٩٤٠– ٢٠٢٢) فيلسوف أمريكي متخصص في الفلسفة التحليلية وفلسفة اللغة، كتب في المنطق، والحدس، من أهم أعماله: التسمية والضرورة ١٩٧٢ والتي كانت في البداية عبارة عن ثلاث محاضرات في الفلسفة التحليلية، وفتجنشتاين وقواعد اللغة ١٩٨٢، ومشكلات فلسفية (أبحاث مجمعة) ٢٠١١.

Cp. Saul Kripke - Britannica Accessed 14 November 2024

[14] Kripke, S (1980) Naming and Necessity, Harvard University Press, Massachusetts, p151.

إن الألم ظاهرة غريبة، تعود إلى الإدراك[١٥]، فمثلًا حينما نذهب إلى السوق ونرى باقة من زهر الريحان، ندرك حينها أن هذه الباقة هي باقة ريحان، بسبب لونها، وشكلها، وحجمها، ورائحتها، أي بسبب سماتها. ويحدث هذا الإدراك عن طريق تفاعل بين الوعي، والذاكرة، اللذين بإمكانهما إدراك الموجودات في العالم. أما إدراك الألم، فبطبيعة الحال حينما نشعر بألم في الكتف الأيسر مثلًا، نترجم هذا الألم على أنه تلف في الخلايا التي نشعر فيها بالألم. أي أننا ندرك الشعور بالألم وسماته، من خلال الذهن كجهاز شخصي معرفي.[١٦]

إن إدراك باقة الريحان تعتمد في الأساس على رؤيتها موجودة على الطاولة أمامي، فماذا عن الألم؟ ما الذي يجعله حقيقيًا؟ وكيف نفرق بين الآلام في حالات يكون فيها الألم شعوراً مضللًا؟* كيف يمكن أن يكون الشعور بالألم غير حقيقي، بينما هو شعور شخصي وخاص؟

هذه الأسئلة بالتحديد ما جعلت فينومينولوجيا الألم محل اهتمام الفلاسفة.[١٧] بدءً من ديكارت، وبرنتانو، وهسرل إلى أرمسترونج David Armstrong [١٩٢٦-] ، وفريد دريتسكي Fred Dretske [١٩٣٢ – ٢٠١٣]***. إن الإجابة عن هذه التساؤلات تعتبر معقدة نوعا ما، فقد اختلفت نظريات فينومينولوجيا الألم – مثل نظرية المعطيات الحسية، والإدراكية، والظرفية، والتمثل– في تحليل ظاهرة إدراك الألم. وترتكز أهمية فينومينولوجيا الألم في الطب تصب في التمييز ما بين "الألم"، و"المرض"، لأن تحديد طبيعة المرض من الناحية العصبية الفيسيولوجية يساعد في معالجة أعراض – فينومينولوجيا– الألم[١٨]. وقد أثبتت الفينومينولوجيا أنه لا غنى عنها في الأبحاث الخاصة

---

[15] Aydede, Murat. (2005) Introduction: A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain, p1.

[16] Hardcastle, V. (2017) A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Jennifer Corns, Routledge, London, p19.

* أن يكون الألم مضللًا مثلما يعاني شخص من ألم في الكتف، والألم في حقيقة الأمر آنذاك في قلبه. (الباحثة)

[17] Hardcastle, V. A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, p ٢٠.

*** فريد دريتسكي Fred Dretske: (١٩٣٢ – ٢٠١٣) فيلسوف أمريكي فريد دريتسكي عام ١٩٣٢، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة مينيسوتا. وهو أستاذ فخري للفلسفة في جامعة ستانفورد وأستاذ للفلسفة في جامعة ديوك. ومنذ أوائل سبعينيات القرن العشرين، كانت أعمال دريتسكي محوراً لعدد من النزاعات الرئيسية في نظرية المعرفة، وفلسفات الإدراك، والعقل، والوعي. وعلى الرغم من تنوعها، فإن دافعين أساسيين يوحدان كتابات دريتسكي: الحاجة إلى فهم العقل في علاقته ببيئته والنظرة الطبيعية الثابتة للعقل وعملياته. لقد طور دريتسكي وصفاً متطوراً ومفصلاً وتقنياً للمعلومات ودورها في المعرفة والفكر والإدراك. وبناءً على عمله المعرفي السابق، قام دريتسكي بتحليل المعرفة من حيث المعتقدات الناجمة عن المعلومات، من أهم أعماله: الرؤية والمعرفة ١٩٦٩، المعرفة وتدفق المعلومات ١٩٨١، تفسير السلوك ١٩٨٨، تطبيع العقل ١٩٩٥.

Cp. Dretske, Fred – Encyclopedia of Philosophy. Accessed November 2024.

[18] Geniusas, Saulius (2020) The Phenomenology of Pain, Ohio University Press, Ohio, p 1.

بالألم، نظراً لأنها تقدم منهجية تدعم تحديد طبيعة الألم، بغض النظر عن الأسباب الفيسيولوجية التي أدت إليه.[١٩]

ويعتبر دراسة الجانب الفينومينولوجي من الألم بالغ الأهمية، حتى إن المتألم دائماً ما يربط حديثه عن الألم بخبرة الألم نفسها[٢٠] – أي فينومينولوجيا الألم– لا الجزء الفيسيولوجي المتضرر –محل تلف الخلايا– وسوف أقوم بعرض النظريات الفلسفية في فهم فينومينولوجيا الألم، وهي على التوالي: نظرية المعطيات الحسية، والنظرية الإدراكية، والنظرية الظرفية، ونظرية التمثل.

أولًا: نظرية المعطيات الحسية.* Sense Datum Theory.

اتفق العلماء على تعريف الألم بأنه: شعور مزعج، وخبرة عاطفية مرتبطة بتلف داخلي بالجسد. مع الأخذ في الاعتبار أن الألم دائماً ما يكون خبرة فردية، وكل فرد يدرك هذه الخبرة بإصابة ما في بداية حياته. وهنا يتجنب هذا التعريف ربط الألم بالمحفز الذي سببه. إن النشاط الذي يحدث في مستقبلات الألم بسبب محفز مزعج، لا يشكل ألماً، وعلى الرغم ذلك فأننا ندرك جيداً أن الألم غالباً ما يكون له سبب جسدي مباشر.[٢١] إن دراسة فينومينولوجيا الألم تعد تحدي، حيث إن الألم يكون دائماً شعوراً خاصاً، ذاتياً، إلا إنه من غير الممكن الخطأ بصدد الشعور به.[٢٢]

وثمة ثلاث سمات أساسية للألم:

- أولًا: خصوصيته*: يشعر به الإنسان بمحض نفسه. أي الأنا، الأنا هي من تشعر بآلامها، وأنت فقط من تشعر بآلامك. والخصوصية هنا ليست بالمعنى الاجتماعي، ولكن بالمعنى الميتافيزيقي.

---

[19] Ibid, p 4.

[20] Aydede, M and Güzeldere, G. (2002) Some Foundational Problems in the Scientific Study of Pain, *Philosophy of Science*;69(S3): S265-S283. doi:10.1086/341851 p S269

* المعطيات الحسية: وهي واحدة من النظريات الخاصة بالإدراك، وهي تناقش التساؤل الخاص بما هو الذي نعيه فوراً أثناء الإدراك؟ بالنسبة لنظرية المعطيات الحسية ما نعيه مباشرةً هو المعطيات الحسية. فمثلًا المعطيات الحسية لرؤية التفاحة: دائرية، حمراء، منتفخة في ضوء النهار الطبيعي. قد تُفهم المعطيات الحسية أنها تتماشى مع أسطح الأشياء المادية، ولكن في الحقيقة هي تتماشى مع ما يُدرك بالعقل فور أي موقف إدراكي، بمعنى أن ذلك يشمل كل المواقف الإدراكية. إلا أن هناك بعض التغييرات التي تحدث في الإدراك حيث تتغير بغير الظروف المحيطة، ويتغير معها المعطيات الحسية من منظور الشخص الذي يرى، ولكن في الحقيقة يكون من دون تغيير في شكل التفاحة نفسها، بل مثلًا في الإضاءة، أو مدى جفاف العين، وهكذا. ويعتبر مؤسسي هذه النظرية من العصر الحديث: ديكارت، ولوك، وبيركلي، وهيوم. وطورها في نهاية السبعينيات فرانك جاكسون، وهوارد روبنسون، حيث ألّفا كتابين يحملان نفس الاسم وهو "الإدراك".

Cp. Binder, M. & Hirokawa, N (2009) Encyclopedia of Neuroscience, Springer, Heidelberg, p 3645.

See also Stanford Encyclopedia of Philosophy - Sense Data

[21] Cp. (PAIN TERMS and Definitions IASP, n.d.) Accessed 4 December 2024.

[22] Hardcastle, V. (2017) A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, p 19.

* The privacy. Cp. Pitcher, George (1970) Pain Perception, in The Philosophical Review, Vol. 79, No. Duke University Press, 3, p 370.

- ثانيًا: "لا يوجد الألم إلا بالشعور به"*. ولا يمكن لأحد أن يصف ألماً لا يشعر به، أو أن يعاني من ألم غير موجود.
- ثالثًا: أهم سمة في الألم أنه لا يمكن الخطأ بصدده**، أي لا يمكن أن يشعر الإنسان بألم في قدمه مثلًا دون أن يوجد بالفعل ذلك الألم.[٢٣]

ويعد مفهوم المعطيات الحسية يعبر عما يظهر مباشرةً في الوعي في الخبرة الحسية، أي ما يظهر مباشرةً في الوعي قبل الإدراك الحسي (ما إذا كان حقيقيًا أم لا) حيث يبدأ العقل حينئذ بشكل تلقائي في عملية التفسير.[٢٤] وبذلك فإن هذه النظرية تلتزم بالمنهج الفينومينولوجي، حيث تصف المعطيات كما تظهر وقبيل عملية التفسير التي يقوم بها العقل. تعتبر هذه النظرية خاصة، بالنسبة للشخص الذي يمر بالخبرة، فهي توجد فقط لديه هو أثناء استيعابه لهذه الخبرة، وعلى هذا الأساس لا يمكن أن تتمثل معطيات الحس نفسها لشخصين مختلفين، أو بعبارة أخرى لا يتشارك البشر في إدراكهم للخبرة ذاتها، أي يختلف الإدراك من شخص لآخر. ربما ما يفسر اختلاف الإدراك، والخبرة من شخص لآخر من خلال وصف أفلاطون لقصة الكهف*** حيث افترض مجموعة من الأشخاص يعيشون في كهف، هذا الكهف لديه مدخل تنفذ منه إضاءة تمتد داخل الكهف. هؤلاء الأشخاص مقيدون بالسلاسل والأغلال منذ طفولتهم، من أرجلهم وأعناقهم، بحيث لا يسعهم سوى الانتظار والنظر إلى الأمام لأن هذه السلاسل تمنعهم من أن يديروا رؤوسهم، ثم تخيل شعلة من النار متوهجة توجد على بعد معين من خلفهم، وأمام السجناء طريق، به حائط منخفض يظهر فيه خيال هذه الشعلة. [٢٥] وهنا يختلف إدراك كل شخص عن الآخر في رؤيته لهذا الخيال، فمنهم من يراه خيال أشباح قادمة، ومنهم من يراه خيالًا لطائر خارج الكهف، ومنهم من يعتقد بأنه خيال شخصٍ قادم لفك قيودهم. لذلك فإن الإدراك يختلف من شخص لآخر حتى وإن تشاركوا في رؤية المشهد نفسه.

تعتمد إذًا نظرية المعطيات الحسية في تفسير الشعور بالألم على عنصرين:

- فعل Act.
- موضوع Object.[٢٦]

---

* To-be-is-to-be-felt. Cp. Pitcher, George (1970) Pain Perception, in The Philosophical Review, Vol. 79, No. Duke University Press, 3, p 370.

** Incorrigibility. Cp. Pitcher, George (1970) Pain Perception, p 370.

23 Pitcher, George (1970) Pain Perception, p 370.

24 Pitcher, George (1971) Theory of Perception, Princeton University Press, Princeton, New Jersey, p 10.

*** Plato's Allegory of the Cave.

25 Plato, The Republic of Plato Book Vii, Translated by: Davies and Vaughan, Macmillan and Co. Cambridge,1997, P 264

26 Aydede, Murat. (2005) Introduction: A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain, p 6.

يدل الفعل على عملية استيعاب "الموضوعات" الخارجية، لذلك لا يحدث الفعل دون الموضوع. ولكن لا يعتمد وجود الموضوع على الفعل، وإذا أردنا تخيل الآلية التي تعمل بها هذه النظرية لكانت كما يلي:

١) نتخيل رؤية تفاحة حمراء موجودة على الطاولة.

٢) فنتخيل مثلًا شخصاً انحنى ليلتقط شيئًا سقط منه، فمد يده ليمسك بالشيء البعيد قليلًا، فشعر بألم مفاجئ في يده.[٢٧]

إذا قمنا بملاحظة الفرق بين الموقفين؛ في الموقف (١) تعتمد رؤيتنا للتفاحة "الفعل" على وجودها بالفعل على الطاولة "الموضوع"، ولكن لا يعتمد وجودها في العالم الخارجي على إدراكنا لها، فهي يمكن أن توجد ولا نراها. إذن وجود الأشياء لا يتوقف على أفكارنا عنه.

أما في الموقف (٢) يحاول العقل معرفة "المُسبب" أو "الفعل" الذي أدى إلى شعوره بالألم في يده "الموضوع". وهنا لا يمكن أن يوجد الموضوع "الألم في اليد"، إلا إذا أدركت وجوده "الفعل". أي لا يوجد ألم حقيقي لا يشعر صاحبه بوجوده، فمتى كان هناك ألم، فلابد من الشعور به. والشعور بالألم لا يعتمد أيضا على الخبرة به، أو على خصائص معينة كالتفاحة، ولكن يعتمد أساساً ومباشرة على وجوده أي سمته الفينومينولوجية، بمعنى ضرورة وجود حالة جسمانية معينة تستدعي الشعور بالألم. والخبرة بالألم تختلف عن خبرة الإنسان برؤية التفاحة، لأن الخبرة بالألم نفسها متفاوتة، وتختلف وفقًا لنوع، وشدة الألم.[٢٨]

والأمر لا يختلف كثيراً حتى في حالة الهلوسة، ربما يختلف محتوى الرؤية نفسها، فمثلًا التفاحة الحمراء تُرى دائرة حمراء، أي أن الشيء المرئي موجود بالفعل، ولكن يطرأ تغيير على هذا الوجود من جراء الهلوسة.

وبطبيعة الحال يتعايش الإنسان مع البيئة من حوله، فإذا شعر بألمٍ يبدأ العقل فوراً في إجراء الملاحظة، والبحث عن المسبب، وإدراك السبب، وإدراجه في تصنيف عقلي يضم الأشياء التي تسبب الألم. ويعتبر عمل العقل بهذا الشكل عملًا تلقائيًا، لا يحتاج إلى توجيه العقل لمثل هذا التصنيف. وبالتالي حين أرى تفاحة حمراء، أكتسب خبرة رؤيتها، فأُدرج التفاحة تحت تصنيف يتناول صفاتها كالاستدارة، أو اللون الأحمر. أما في الموقف (٢) فأستطيع تحديد مسببات الألم "الفعل" عن طريق ملاحظة الحركة التي قمت بها فشعرت بالألم على الفور.

إذا كانت نظرية المعطيات الحسية حددت الشعور بالألم كما ذكرت مسبقًا في اقتران عنصرين أساسيين: (الفعل – الموضوع)، فإذا أردنا تحديد مكان الألم (الموضوع) داخل الجسم، فهل يوجد

[27] Ibid, p 2.
[28] Kripke, S. (1980), Naming and Necessity, pp. 152–153.

الألم في عضو من أعضاء الجسم، أم أن وجوده ذهني؟! وحينما يتحدث شخص ما عن الألم، فهو يعني إما أنه يقصد موضوع الشعور "الألم"، أو خبرة مر بها كانت مؤلمة. وموضوع الشعور "الألم" يتكون من الشعور الذي يتزامن مع مكان هذا الشعور. أما فكرة وجود الألم ذهني فهي مغالطة، لأنها تكون بالذهن، ولكن في تزامن مع العضو المتألم.[٢٩] تواجهنا هنا مشكلة في تحديد موضع الألم أيضاً في حالة بتر ساق أحد الأشخاص من الجسم- حيث يشكو مريض الأطراف الصناعية أحياناً من ألم في جزء من العضو المبتور- فأين يقع الألم؟

إن اعتماد الألم أساساً في وجوده على الشعور به، لا يعني بالضرورة أن الألم لا يشغل موضعاً ما في الجسم، ولكن تبعاً لنظرية المعطيات الحسية (فعل- وموضوع) فإن الخبرة المعرفية بالألم هي تفاصيل تكمن بالذهن، ولكنها تفاصيل بلا صورة كمثال التفاحة، بل هي تفاصيل بلا شكل، وبناءً على هذا الأساس يمكننا استنتاج أن الألم لا يشغل موضعاً (مادياً) في الجسم، فإذا كان الألم ذا طبيعة مادية، فلماذا لا ينكشف موضعه في الجراحات، وإذا لم يكن ذا طبيعة مادية، فكيف يتموضع في حيز مكاني؟[٣٠] إذن يعتبر للألم موضع، ومجاله يماثل الموقع المكاني.

ومن ناحية أخرى، فإن بعض الآلام يمكن أن تحدث من تلقاء نفسها، فكيف تفسر نظرية المعطيات الحسية هذا الألم؟

أراد جورج بيتشر George Pitcher [١٩٢٥ – ٢٠١٨]* حل هذه المعضلة دون دحض نظرية المعطيات الحسية، فقسم سمات الوعي بالألم من المنظور الإدراكي؛ إما إلى وعي بالتفاصيل الذهنية (لا مادية)، أو الوعي بالألم، وهو وعي بأمر شخصي، أي محتوى شعوري لا يناظره أي شيء في العالم الفيزيقي.[٣١]

إن مفهوم الإدراك يعني احتمالية الإدراك الخاطئ، حيث يمكن أن أدرك صورة خاطئة عن شيء مادي خارجي مُدرك بالحواس. بمعنى أصح ربما أرى النهر لونه أخضر مثلًا لانعكاس هذا اللون من الأشجار حول النهر، أو أن أتذوق شيئًا مر المذاق، وفي الواقع لا يوجد في فمي أي مرارة. ربما يقع حكمي الشخصي تحت تأثير "الهلوسة"، بمعنى أن إدراكي المباشر للشيء يمكن أن يكون

---

[29] Russell, B. (1917) Mysticism and Logic and Other Essays, The Floating Press, London, pp. 105-106.

[30] Tye, Michael (1984) Pain and the Adverbial Theory, American Philosophical Quarterly, University of Illinois Press, Vol. 21, No. 4, p 319.
Pain and the Adverbial Theory

* جورج بيتشرGeorge Pitcher: (١٩٢٥– ٢٠١٨) أستاذ الفلسفة بجامعة برينستون الأمريكية، درس أعمال بيركلي وفتجنشتاين، من أهم أعماله: فلسفة فتجنشتاين ١٩٦٤، نظرية الإدراك ١٩٧١، ولديه بحث هام في الألم بعنوان: إدراك الألم ١٩٧٠.

Cp. George Pitcher - Princeton University Accessed 4 November 2024.

[31] Pitcher, George (1970) Pain Perception, p 369.

ناجماً عن الوهم، فإذا كنت –مثلًا– في غرفة جيدة الإضاءة، وأرى أمامي على الطاولة تفاحة، فإن لإدراكي للتفاحة له ثلاثة احتمالات:

١) إما أنني لست موقناً مما أراه، ولكنه يبدو كالتفاحة، غير أنه يمكن أن يكون شكلًا مستديراً خادعاً لأنه يشبه التفاحة.

٢) أو إنني موقن أن ما أراه مباشرة أمامي تفاحة بسبب استدارة شكلها، ولونها الأحمر.

٣) أو لأنني أرى مباشرة شكلًا دائرياً أحمر اللون، ولكنه لا يطابق شكل التفاحة، وهذه الرؤية تعبر عن معطيات حسية.

ففي الإدراك المباشر أعتمد أساساً على المعطيات الحسية التي أراها، ولأن إدراكي لهذه المعطيات من المحتمل أن تكون خاطئة تحت تأثير الهلوسة، أم خطأ ناجم عن الإدراك الحسي** التي قال بها منظرو المعطيات الحسية، إذن فإن تعميم هذه الفرضية يجانبه الصواب.[٣٢] وهو السبب نفسه الذي فتح باب البحث في ماهية الألم من منظور آخر غير المنظور التقليدي للمعطيات الحسية.

- **تعقيب.**

قدمت نظرية المعطيات الحسية في فينومينولوجيا الألم منظوراً عميقًا حول كيفية إدراك الألم وتأثيره على الوعي بالجسم، مما جعل هذه النظرية تساهم في فهم أبعاد الألم المتعددة التي تتجاوز مجرد كونه رد فعل جسماني، بل إدراك ذهني ووعي بالحالة الجسمانية التي تعبر عن بعض الافتراضات:

١- **تجربة الألم شخصية ومباشرة:** حيث تركز النظرية على فهم خبرة الألم كظاهرة نفسية فريدة، والألم فيها أكثر من مجرد استجابة فيسيولوجية للجسم، بل هو فعل، وموضوع. وتتناول الألم كحدث يرتبط بالوعي الشخصي.

** اعتبر ديكارت أن الحواس قد تكون خادعة، وهو ما يقوده إلى الشك في أي شيء يعتمد أساساً على الحواس، بما في ذلك الإحساس بالألم. فوفقا لديكارت حتى إذا كان الألم تجربة حقيقية، فإننا لا نستطيع أن نتأكد من أن هذا الشعور ليس مجرد وهم أو هلوسة. على اعتبار أن الحواس نفسها يعد من المصادر غير الموثوقة. فالألم، مثل أي تجربة حسية أخرى، قد يكون مجرد حدث عقلي وليس له علاقة حقيقية بالعالم المادي. وبذلك، قد يرى ديكارت أن الألم قد يكون هلوسة، وذلك في إطار شكه الأساسي في إمكانية الاعتماد على الحواس كوسيلة لفهم الواقع. وأوضح ديكارت أن الألم ذا طبيعة ثنائية؛ حيث يمكن أن يكون الألم نتيجة لإصابة جسمانية أو إصابة نفسية.

Cp. Descartes, René (1993) *Meditations on First Philosophy*. Translated by Donald A. Cress, 3rd ed., Hackett Publishing, p. 15.

See also Mehta N. (2011), Mind-body dualism: A Critique from a Health Perspective. In: Brain, Mind and Consciousness: An International, Interdisciplinary Perspective (A.R. Singh and S.A. Singh eds.), MSM, 9(1), p 202.

[32] Pitcher, George (1971) Theory of Perception, pp. 21- 22.

٢- **التمييز بين الألم الحسي والألم الوجودي:** تميز الفينومينولوجيا بين الألم الحسي، الذي يتضمن الشعور الفيزيقي المباشر، والألم الوجودي، الذي يشير إلى الأبعاد النفسية والوجودية لهذه الخبرة، مثل الألم الناتج عن المعاناة النفسية أو الشعور بالعجز.

٣- أفضت نظرية المعطيات الحسية إلى قصور في تفسير الخطأ في الإدراك سواء كان عن طريق هلوسة أو اختلاف في الحالة الجسمانية التي على أساسها تختلف حدة الألم.

ثانيًا: النظرية الإدراكية.* Perceptual Theory.

يعد الألم –كما أشار إليه برنتانو– إدراكًا باطنيًا لا شك فيه[٣٣]، أي يمكنني أن أخطئ بشأن الشعور بالحزن، لكن ذلك من غير الممكن بصدد الألم.[٣٤] وعلى النقيض من وجهة نظر برنتانو للألم باعتباره انفعالًا** لا يقبل الشك، فقد رأى أرمسترونج***، وبيتشر أن الألم يخبرنا أن جزءًا

---

* النظرية الإدراكية: يستخدم مصطلح "الإدراك" بالاقتران مع "الألم" كما في "إدراك الألم" ليعني الوعي بالألم، أو مجرد الشعور بالألم أو خبرته. إن الشعور بالألم ينطوي عادة على إدراك شيء ما بنفس المعنى الذي يدرك به المرء تفاحة حمراء عندما يراها في ضوء جيد. أي يعتمد على الإدراك الخارجي. وفي بعض الأحيان، في اللغة العادية يقع استخدام لكلمة "الإدراك" بمعنى الاستبطان، وينبغي تمييزه بوضوح عما يعنيه منظرو الإدراك عندما يزعمون أن الشعور بالألم يعني إدراك شيء ما.. وقد استبدلت النظرية الإدراكية بالمعطيات الحسية للألم، حيث تم التصريح بها صراحة لأول مرة في ستينيات القرن العشرين. وأول من قال بها أرمسترونج (١٩٦٢؛ ١٩٦٨) وبيتشر (١٩٧٠؛ ١٩٧١).

Cp. Perceptual Theory - Stanford

[33] Hardcastle, V. A (2017) Brief and Potted Overview on The Philosophical Theories of Pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Jennifer Corns, Routledge, London p 20

[34] Ibid, p 20.

** يميز برنتانو بين الانفعال(Affekt) ، العاطفة(Emotion) ، والشعور (Gefühl) بناءً على مفهومه عن القصدية في علم النفس الفينومينولوجي. ١–الشعور: هو حالة وجدانية ترافق جميع العمليات العقلية.، يرى برنتانو أن الشعور ليس شيئًا منفصلًا، بل هو جزء من خبرة الوعي، مثل الشعور بالراحة أو الانزعاج عند التفكير في شيء معين. ولا يعتبر الشعور "إدراكًا" بحد ذاته، بل هو مجرد استجابة وجدانية ترافق الأفعال الذهنية. ٢– الانفعال: هو استجابة وجدانية لحظية مثل الغضب المفاجئ أو الفرح عند سماع خبر سار. ويتميز الانفعال بكونه مؤقتًا ومرتبطًا بلحظة معينة، ويمكن أن يكون إيجابيًا أو سلبيًا، لكنه لا يستمر طويلاً، بل يتلاشى مع مرور الوقت.٣– العاطفة هي حالة وجدانية أكثر استقراراً واستمرارية من الانفعال. تتشكل العاطفة نتيجة تكرار انفعالات معينة أو تبني موقف ثابت تجاه شيء معين، مثل الحب أو الكراهية لشخص ما على مدى طويل، وترتبط بشكل عام بالحكم القيمي، والقصدية، حيث يرى برنتانو أن المشاعر ليست مجرد أحاسيس، بل تعبر عن أحكام داخلية على الأشياء.

Cp. Kriegel, Uriah (2018), *Brentano's Philosophical System: Mind, Being, Value* – Oxford University Press, p 195.

***ديفيد أرمسترونج David Malet Armstrong: (١٩٢٩ – ٢٠١٤) فيلسوف أسترالي، درس الفلسفة بجامعة سيدني، له إسهامات في نظرية المعرفة، والميتافيزيقا، والإدراك. من أهم أعماله: نظرية الرؤية عند بيركلي ١٩٦٠، الإدراك والعالم المادي ١٩٦١، المادية كنظرية للعقل ١٩٦٨، طبيعة العقل ١٩٨١.

Cp. Armstrong, David Malet - Routledge Encyclopedia of Philosophy Accessed 14 November 2024.

من أجسامنا في "حالة تلف، أو كدمة، أو تهيج، أو حالة مرضية معينة".[٣٥] إن معيار وجود الألم في الجسا لا يحدده الجزء المضطرب، ولكن ما يحدده هو الشعور به، حيث لا أحد يشعر أو يصف آلامًا غير محسوسة. الشعور بالألم خاص لإنه ليس ماديًا "non–physical".*

وقد ناقش هسرل الشعور حيث وصفه بأنه "تفسير"، فالشعور نفسه ليس الفعل، بل إنه يتأسس من خلال تفسير ما نستقبله من محفزات، تحرك معها الإدراك.[٣٦] وبذلك يكون الألم ذا طبيعة ثنائية (ذات – موضوع)، حيث يتحول من مجرد شعور (ذات) إلى محتوى محسوس (موضوع) عن طريق تفسيره على حد قول هسرل. وإذا كان الشعور بالألم غير قصدي، فتفسيره يعتبر قصدياً بالتأكيد.

إن إدراك الألم يرتكز على:

- موضع الألم.
- الشعور المؤلم –والشعور المؤلم هنا يتصف بكيفيته، وشدته– لذلك يكون بصدد الألم لدينا سؤالين:

هل الألم الذي أشعر بشدته يوجد في جسمي بالقوة نفسها التي أشعر بها؟

هل الألم الذي أشعر به موجود بالفعل في هذا الموضع؟[٣٧]

أثار التساؤل الثاني التفكير في تحديد موضع الألم، فإذا قلت إنني أشعر بألم في كتفي الأيسر، فهل الألم موجود بالكتف الأيسر فعلًا؟ علماً بأنه مع تطور الطب، وملاحظة أعراض أمراض القلب، نجد أن من أعراض الذبحة الصدرية ألم الكتف[٣٨]، ما يوضح أن موضع الألم لا يدل بالضرورة على الجزء الفعلي المصاب بالتلف.

فضلًا عن أنه في حالة الذبحة من الممكن الشعور بالألم من دون مسبب خارجي "الفعل"، إذن لا ينطبق هنا اقتران (الفعل، والموضوع) في تفسير الشعور بالألم. أو بعبارة أخرى؛ طالما أن وجود

---

[35]Armstrong, D.M. (1968) A Materialist Theory of the Mind, Routledge & Kegan Paul, London, p 315.

* إلا أنه في اعتقادي أن تعريف بينشر للألم يتخلله تناقض، حيث إنه أوضح أن معيار وجود الألم هو الشعور به، وتطبيقًا لهذا التعريف على حالة التخدير مثلًا لا يشعر المريض بالألم، رغم وجوده، وأيضاً في حالة الأطراف الصناعية، بما أن مريض الأطراف الصناعية أحياناً يشكو من الألم في قدمه المبتورة، بسبب وعيه ببتر جزء منه، إذن نستطيع القول إن مكان الألم المادي هو الدماغ وبالأخص القشرة المخية Cortex، حيث الوعي بالألم. وبطبيعة الحال تعتبر فينومينولوجيا الألم معنية بالانطباعات الحسية في أي موقف إدراكي. (الباحثة)

[36] Husserl, Edmund, 2000 Logical Investigations, Translated by J. N. Findlay, Routledge, London, (Vol 2) p 109.

[37] Armstrong, D.M. (1962) Bodily Sensation, Routledge & Kegan Paul, London, pp. 54 – 55.

[38] Hall, J. E. & Hall, M. E. (2021) Guyton and Hall Textbook of Medical Physiology, 14 Ed, Elsevier, Philadelphia, p 618.

الألم وجود ميتافيزيقي، وأن موضع الألم لا يحدد بدقة موقع التلف الحقيقي، إذن من المنطقي أن نتساءل، هل يمكن أن يوجد ألم دون الشعور به؟ وإلى أي مدى نثق في إدراكنا؟ أو إلى أي مدى يكون إدراكنا للعالم المادي دقيقًا؟

وهنا يشير جورج بيتشر إلى أن الشعور بالألم بشكل أساسي يعني الوعي (المباشر) بحالة مادية جسمانية.[٣٩] أي أن الوعي بالألم يعني "إدراكه" على المستوى العقلي، أما الشعور بالألم يعني تحفيز المستقبلات العصبية المتصلة بالخلايا التي حدث بها تلف، أو اضطراب، أو حالة مرضية ما. ويمكن تسميته "إدراك حسي جسماني"، كنقيض للـــ "إدراك الحسي الخارجي" مثل الرؤية، واللمس، والسمع.[٤٠] وإذا لاحظنا الفرق في معنى كلمتي "أشعر" في الجملة التالية: "أن **أشعر** بالألم يعني أن **أشعر** بحالة اضطراب في جزء من جسمي". أرى أن كلمة "أشعر" الأولى تعني فعل حدوث الألم، أما الثانية فهي إدراكه.

وبما أن الألم خاص ولا يشعر به غير صاحبه، اقترح جورج بيتشر تشبيه الألم باللمحة**، على اعتبار أن اللمحة توجد فقط حينما أرمقها. وبالطريقة نفسها نشعر بالألم، حيث لابد أن أشعر به لكي يكون موجودًا، وذلك ليس بسبب كون وجوده ميتافيزيقيًا، وإنما لأن الشعور به شرط وجوده. وقد عبر بيتشر عن ذلك بـــ "أن-يوجد-الألم-أي-أن-ألمحه"*، واللمحة تعد وصفًا دقيقًا بشأن خصوصيتها، فلا أحد يرمق لمحة الآخر، مثلما لا أحد يشعر بألم الآخر***.

إذن استطعنا هنا تحديد شكل الألم أثناء حدوثه – كشعور خاص – فماذا عن هويته؟؟ هل الجزء المضطرب هو المعيار الذي يحدد هوية الألم؟ أم أنه يحدد هوية الشعور بالألم؟ بمعنى هل يعبر الشعور بالألم عن الفعل الذي يحدث، أم عن هوية الألم نفسها؟ أو بعبارة أدق، ما الألم؟ وماهية الشعور به؟[٤١]

بما أن الألم "شعور مزعج"* فما الذي يجعل هذا الشعور مزعجًا؟ يرى بيتشر أن سائر الحواس من الممكن أن تتعرض لشعور مزعج أيضًا مثلما يحدث إذا نظرت إلى مصباح مضيء فترة

---

[39] Pitcher, G. Pain Perception, p 368.

[40] Ibid, p 372.

** Glimpse. cf Pitcher, George (1970) Pain Perception, p 374.

* To-Be-Is-To-Be-Caught. Cp. Pitcher, George (1970) Pain Perception, p 374.

*** وإذا فتحنا باب المناقشة بشأن احتمالية أن يلمح شخصان المشهد نفسه، فسوف يكون دفاعي هنا بمثال كهف أفلاطون المذكور مسبقًا –ص١٢– حيث لا يشترك أبدًا عقلان في الإدراك نفسه، حتى وإن ثبتنا المُدخلات الحسية نظرًا لتفاوت القدرات الميتافيزيقية، سواء كانت ذهنية، أو حسية. (الباحثة)

[41] Pitcher, G. Pain Perception, p 379.

* كما تم الاتفاق على تعريفه كذلك بمعرفة الجمعية الدولية لدراسة الألم (IASP) عام ١٩٨٦.

See IASP 1986, p. 250, cp. The Routledge Handbook of Philosophy of Pain. (2017). United Kingdom: Taylor & Francis.

طويلة، أو إلى انفجار؛ ولكن الاختلاف هنا أن الإزعاج في حالة الانفجار يأتي من الخارج، أما بالنسبة للألم فهو يُدرك في الذهن أي أنه حالة داخلية خاصة، حيث يعي الذهن "موضوع" الإزعاج؛ إذن ليس فعل الوعي نفسه هو المزعج، بل ما يعيه الذهن، والذي أشار إليه بيتشر بأنه "الظرف". أي ظرف الحالة الذهنية التي تعي الألم. إذن فرق بيتشر هنا بين أن يكون الألم مزعجًا، وحالة استيعاب أن الألم مزعج.[٤٢]

إذا حاولنا أن ندرس مثال الهلوسة بصدد الألم ونظرية الإدراك، فمثلًا، إذا اشتكى شخص – بعد بتر قدمه – من ألم في قدمه الصناعية، هل يمكننا القول بشكل قاطع أن هذا الشخص يشعر بألم في قدمه –غير الموجودة – المبتورة؟ أم أنه يشعر بألم في قدمه الصناعي –التي لا تتمكن من الشعور مثل الجسم– أم أنه وقع تحت تأثير الهلوسة في شعوره بالألم؟ في حقيقة الأمر إن هذا الشخص يشعر بألم حقيقي بالفعل – مثلما أشار بيتشر– من سمات الألم أنه غير قابل للخطأ – على الرغم من غياب الجزء الذي كان يؤلمه، إذا يمكننا أن نعتبر هذه هي سمة جديدة من سمات الألم.[٤٣] وهي أن إدراك الألم يختلف عن سائر أنواع الإدراك الحسي. فإدراك الألم لا يشبه إدراك الألوان، والأشكال مثلًا، بل إنه إدراك فينومينولوجي متميز، ينشأ من تحفيز الحواس ظاهريًا، مع اتصاله بالوعي.

ومن ثم نعود للتساؤل الخاص بالقدم الصناعية؛ في اعتقادي أن الشعور بالألم منقسم إلى شقين:

- المحفزات.
- الوعي بالألم.

إذا افتقر الشخص إلى العضو المادي الذي يستقبل المحفزات، واستطاع أن يشعر بالألم في العضو الصناعي، فإن الشعور هنا يعتمد بشكل أساسي على الوعي فقط من دون المحفزات، ولا علاقة له بالواقع الفيزيقي. مثلما يشعر أحدنا بالألم أثناء حلم ما، يقع الألم هنا في وعيه فقط، حيث إن الأحلام جميعها لا تخضع للمقاييس الفيزيقية المنطقية، ومع ذلك فهي تثير الحواس أثناء النوم. وعلى اعتبار أن الخبرة بالألم هي حالة إدراكية، تمثل حالة تلف عصبي ما، إلا أن ذلك لا يعني القول بإن كل خبرات الألم توافق هذا التلف العصبي، فهي شأنها شأن كل أشكال الوعي الإدراكي، الوعي بالألم يمكن أن يفضي إلى أوهام أو هلاوس. هذا ما يحدث في بعض حالات الاعتلال العصبي، أو حتى آلام الأطراف الصناعية، بالرغم من أن الخبرة بالألم في الأساس – وفي الحالات العادية– تكون مصحوبة بحالة تلف ما.[٤٤]

---

[42] Pitcher, G. Pain Perception p 380.
[43] Ibid, p 383.
[44] Hill, Christopher S. (2017) Fault Lines in Familiar Concepts of Pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Routledge, p63.

وبالتالي، فإن صاحب القدم الصناعية لا يتصنع الألم، بل يشعر به بسبب وعيه بقدمه المبتورة. وفي اعتقادي أن "الوعي" بالألم أدق تفسير لآلام الأطراف الصناعية، وعلى هذا الأساس نستطيع تفسير آلية التخدير أيضاً. والعكس صحيح، أي حينما يذهب شخص إلى طبيب الأسنان، فبالرغم من أن الطبيب يقوم بتخدير العصب أثناء العمل، إلا أن المريض يشعر بألم بسبب وعيه وشعوره بتردد الجهاز أثناء تشغيله، ويُطلق على هذا الشعور بالألم "Nocebo"*.

على النقيض أشار بيتشر في تفسيره للألم في الأطراف الصناعية بأنه خطأ في الحكم، مثلما يشعر بألم في أسنانه، ويتضح بعد الفحص أن الألم في أذنه، أي أن الحكم الشخصي على مكان الألم قد يكون يجانبه الصواب في بعض الحالات.[٤٥] والألم بشكل عام غير قياسي، ومتغير من شخص لآخر. ومن المهم أن نفهم أن مفهوم "الخبرة الإدراكية" يمكن فهمه على نطاق أشمل من مجرد الخبرة التي تنتجها المستقبلات الحسية، ولكن أيضاً أي خبرة ظاهرية، أي أن هذا المفهوم يشمل أيضاً الخبرات الظاهرية التي تخضع للتصور الذهني الإدراكي.[٤٦] إن ما يميز هذا المنظور– النظرية الإدراكية– هو أنها تعتبر الألم يماثل الإدراك، لأنه يزودنا بخبرات عن عالمنا الداخلي الجسمي، تماماً مثلما تقوم أنظمتنا الإدراكية (الأخرى).[٤٧]

مما سبق يتضح أن النظرية الإدراكية عند بيتشر تقوم على الحقائق التالية:

١) أنها تبسط مفهوم الألم من خلال الوعي بأن قدرة الإنسان على إدراك الألم إنما هي قدرة ذهنية أساسية.

٢) إدراك الألم له ميزة ميتافيزيقية تفوق سائر نظريات الألم باعتباره "موضوعاً" ذهنياً.

٣) إدراك الألم كنظرية لا تواجه نفس المشكلات الفلسفية الخاصة بالألم –من حيث وجوده، وطبيعته المزدوجة، وقابلية الخطأ في الإدراك– حيث تميز بين الخبرة الإدراكية، وإدراك الشعور.[٤٨]

ونستخلص مما سبق أن نموذج الاضطراب الجسماني له يقوم على ما يلي:

- في حالة الوعي بالألم، يدرك المتألم أن هذا الإزعاج الجسماني له مصدر.

---

* تأثير ال "Nocebo " يمثل تخيل الوعي بالألم خلال غياب المحفزات الجسدية سواء كانت في حالة التخدير أو البتر، على اعتبار أن المريض ليس غائباً كليةً، أي تخدير جزئي.

Cp. Pereplyotchik, David (2017) Pain and Consciousness, In the Routledge Handbook of Philosophy of Pain, p 217.

45 Pitcher, G. Pain Perception, pp. 388-389.

46 Tye, M. (2008). The Experience of Emotion: an Intentionalist Theory. Revue Internationale de Philosophie, 62(243 (1)), p 29.

Tye, M. The Experience of Emotion

47 Hardcastle, V. A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, p 20

48 Pitcher, G. Pain Perception, pp. 368-369

- الوعي بالألم هو الوعي بأن هذا النوع من الإزعاج مرتبط بتلف داخلي تم التنبيه بشأنه عن طريق المستقبلات الحسية العصبية المعروفة باسم ألياف C، وألياف Aδ.
- الوعي بالألم يشبه كل أنواع الوعي الإدراكي، حيث يتضمن خبرة إدراكية تمثل موضوعاً للوعي، وسمات هذا الموضوع – مثل الوخز، أو الحرق مثلًا – فتبين السمات آنذاك حدة الألم وموضعه في الجسم.
- إن إدراك سمات الألم يتأسس بناءً على فينومينولوجيا الألم الحسية.
- الوعي بالألم –إذن– يكون مصحوباً باستجابة سلوكية انفعالية. هذه الاستجابة حالة معقدة من السلوك تهدف إلى التقليل من حدة هذا الإزعاج، أو إيقافه.*
- الحالة الجسمانية، والخبرة بالألم، والانفعال السلوكي كردة فعل، هم العناصر الأساسية للألم، وهي مترابطة عن طريق علاقة السببية "السبب–النتيجة".
- الألم هو الحالة الجسمانية، أما سائر الاستجابات فهي مجرد ارتباطات بحدوث الألم.[٤٩]
- **تعقيب.**

بينما توفر النظرية الإدراكية في فينومينولوجيا الألم تفسيراً لربط الألم بالحالة الجسدية، إلا أنها تواجه مشكلات جوهرية تتعلق بتأثره بالعوامل النفسية والجسمانية للمتألم، وعدم اتساق تفسيره مع شكوى أصحاب الأطراف الصناعية. ويمكن حصر سلبيات النظرية الإدراكية كالتالي:

١- الألم ليس إدراكًا مباشراً لعالم خارجي: في الحواس التقليدية مثل البصر والسمع، هناك موضوع خارجي محدد يتم إدراكه (كالشجرة التي نراها أو الصوت الذي نسمعه). أما في حالة الألم، فلا يوجد "موضوع" خارجي واضح للإدراك، بل هو تجربة داخلية شخصية.

٢- مشكلة آلام الأطراف الصناعية (Phantom Limb Pain): كالمرضى الذين تعرضوا لبتر أحد أطرافهم يعانون من آلام شديدة في الأطراف غير الموجودة. فإذا كان الألم مجرد إدراك لحالة جسمية، فكيف يمكن لشخص أن يشعر بألم في جزء من الجسد لم يعد موجوداً؟ هذا يشير إلى أن الألم ليس مجرد إدراك للحالة الجسدية، بل قد يكون تجربة عصبية أو نفسية مستقلة.

٣- الألم لا يوفر معلومات موضوعية دائمًا: الإدراك الحسي غالبًا ما يكون دقيقًا وقابلًا للتصحيح عبر التجربة (مثلاً، إذا اعتقدت أنني رأيت شخصاً أعرفه ثم اقتربت منه وأدركت أنني كنت مخطئًا، يمكنني تصحيح إدراكي). أما في حالة الألم، فإن شدته ومدته وتأثيره

* إن المكونات الانفعالية والسلوكية للاستجابة مختلفة بطبيعة الحال، ولكن تم ذكرها هنا كوحدة واحدة بهدف سرد أثر إدراك الألم. (الباحثة)

[49] Hill, Christopher S. (2017) Fault Lines in Familiar Concepts of Pain, p 61.

لا يعكس بالضرورة الضرر الجسدي بدقة. مثل: الصداع النصفي قد يكون مؤلماً جداً لكنه لا يرتبط بخلل خطير في الدماغ.

٤- معيار الحالة الجسمانية: إدراك الألم يعتمد غالباً على المحفزات، لكن الألم يتأثر بشدة بالحالة الجسمانية للمتألم، فالشخص المرهق أو الحزين سيكون أكثر حساسية للشعور بالألم. أيضاً التوقعات والتجارب السابقة قد تزيد من الشعور بحدة الألم، أو حتى آلاماً مزيفة مثل تأثير ال Nocebo السابق ذكره ص ١٨.

ثالثًا: النظرية الظرفية.* The Adverbial Theory.

أحدثت فكرتي الهلوسة، والشعور بالألم في الطرف الصناعي قصوراً في النظرية الإدراكية، ما يحد من كفاءة النظرية في تفسير الألم فينومينولوجياً، ففي مثال الرؤية؛ أن ترى مثلًا تفاحة على طاولة أمامك، فهذا يشمل بالضرورة وجود تفاحة على الطاولة، ولكن في بعض الحالات يمكن ألا يكون –الجسم الذي يكاد يكون دائرياً، وأحمر اللون – تفاحة. ربما يحدث خطأ في إدراك الكرة الحمراء وفقًا لرؤية الشخص، وحالته الذهنية والعصبية؛ أي أنه يمكن أن يقع الإدراك تحت تأثير الهلوسة فيخيل إلى الشخص أن هذه الكرة هي تفاحة والعكس.[٥٠] ولكننا في جميع الأحوال لا يمكننا تخيل تفاحة أو كرة من دون وجود جسم يحمل سمات إحداهما على الأقل، والأمر هنا لا يختلف بالنسبة لإدراك الألم –إلا أنه إدراك خاص وشخصي – إذا اعتمدنا على الإدراك وحده

---

* النظرية الظرفية: هي نظرية فلسفية تُطرح في المقام الأول باعتبارها أنطولوجيا فلسفة الإدراك، وفي فينومينولوجيا الألم تفسر تجربة الألم باعتبارها حال للشعور بدلاً من كونها إدراكًا لموضوع أو حالة في الجسد. وفقًا لهذه النظرية، لا يتم اختبار الألم بوصفه شيئًا منفصلًا يُدرك، بل باعتباره **حال يمر به الشعور أو الوعي**. أي أن الألم ليس شيئًا منفصلًا، بل كيفية الشعور، مثال: بدلًا من القول بـــــ" أنا أشعر بألم في قدمي"، وفقًا لهذه النظرية يمكن التعبير بـــ "أنا أشعر بطريقة مؤلمة في قدمي". وبذلك يُعبر عن الألم نحوياً على أنه ظرف، بحيث يكون الظرف سابقًا في الأهمية على المفعول به "الجزء المتألم". وتعود جذور النظرية الظرفية إلى الفيلسوفين برود Charlie Dunbar Broad (1971)، وتشيسهولم Chisholm (1999)، اللذين طبقا نظرية الألم الظرفية على الإدراك بشكل عام. يمكن أيضاً إرجاع فكرة أن الألم يُختبر بطريقة ظرفية – أي كطريقة للشعور وليس كموضوع للإدراك – إلى نظرية القصدية لفرانتس برنتانو (١٩١٧)، والتي أثرت على الظاهراتيين اللاحقين مثل هسرل وموريس ميرلوبونتي. وقد طور النظرية الفيلسوف الأميريكي ويلفريد سيلارز Wilfrid Sellars (١٩٨٩)، والفيلسوف الأسترالي المعاصر فرانك جاكسون Frank Jackson، ونقد النظرية الفيلسوف المعاصر مايكل تي Michael Tye ودعا إلى نظرية التمثل التي ستناقشها الباحثة بعد النظرية الظرفية.

Cp. Aydede, Murat (2005) Introduction: A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain, p 46.

Tye, Michael (1984) Pain and the Adverbial Theory, p 319.

See also, Sellars, W. (1975) The Adverbial Theory of The Objects of Sensation, in: Metaphilosophy, Vol. 6. No. 2, p 144.

[50] Aydede, M (2005) Introduction A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain, p 19.

فهو يقع تحت حيز الهلوسة، أو فلنقل يختلف الإدراك باختلاف الوضع الجسمي والذهني والنفسي للمتألم. إن الشخص الذي يعاني من حالة إرهاق عام يكون أكثر استجابة للألم من غيره، وبالمثل الحالة النفسية والذهنية. ولذلك فإن اعتماد الظرف الذي يظهر فيه الألم يمثل مجال المعايير التي تتحكم في الشعور بالألم. وبالتالي إن النظرية الظرفية تعتمد في أساسها على التمييز بين الوعي بالألم، والألم نفسه.[٥١] على اعتبار أن الألم هو موضوع الوعي[٥٢] الذي يُدرك فينومينولوجيًا بكيفيته التي نستطيع من خلالها الوصف الماهوي لظاهرة الألم*.

إن رؤية جسم أحمر يمكن تفسيرها على أن رؤية الجسم هي بمثابة الإدراك، أما اللون فهو الحالة أو الظرف، على اعتبار أن اللون الأحمر هو صفة إدراك هذا الجسم، والتي بدورها تختلف عن إدراك جسم أزرق مثلًا. أي أن اللون هنا ليس موضوع الرؤية، بل الصفة الرؤية، وخاصيتها الأساسية.[٥٣] وبالتالي فإن الخبرة المتراكمة في الذهن ستكون جسمًا، دائريًا –شكلًا– وأحمر –لونًا– ولذلك إذا قلت رأيت دائرة حمراء، يكون موضوع إدراكي هو الدائرة، أما اللون فهو صفتها.

دعا البروفيسور مُرات أيديدي إلى أن نتأمل هذه الأمثلة:

١) جميلة ترقص القالس.

---

[51] Pitcher, G (1970) Pain Perception, p 381.

[52] Janzen, G (2012) An Adverbialist–Objectualist Account of Pain, Springer, Dordrecht. DOI 10.1007/s11097-012-9289-4

* الوصف الماهوي: هو منهج فينومينولوجي يستخدم لاكتشاف الماهيات، أو الخصائص الجوهرية للظواهر، أي الصفات التي تجعل شيئًا ما هو ما هو عليه. يعتمد هذا المنهج على الحدس الماهوي (Eidetic Intuition) أو ما يسمى بـــ الرؤية الماهوية، حيث يسعى الفيلسوف هسرل إلى إدراك البنية الجوهرية للخبرة دون الاعتماد على التجربة الحسية وحدها.

الأسس الفلسفية للوصف الماهوي:١– التجاوز عن التفاصيل الفردية نحو الكليات: عند دراسة ظاهرة معينة، مثل "الألم" أو "الإدراك"، لا يركز هسرل على تجارب فردية، بل يبحث عن العناصر المشتركة التي تحدد طبيعة هذه الظاهرة. مثال: بدلًا من دراسة شعور شخص معين بالألم، يحاول الفيلسوف الكشف عن "ماهية الألم" كظاهرة كلية. ٢– تعليق الحكم (Epoché) والتقليل الفينومينولوجي (Phenomenological Reduction) وهي خطوة من خطوات المنهج الفينومينولوجي عند هسرل يستخدمهاللوصول إلى الماهية، هذا يعني استبعاد كل الافتراضات السابقة عن العالم والتركيز فقط على كيفية ظهور الأشياء في الوعي. ٣– التغيرات المتخيلة(Free Variation) طريقة يستخدمها هسرل لتحديد الماهيات، حيث يتخيل تغيرات ممكنة على الظاهرة دون أن تفقد هويتها. مثال: إذا تخيلنا "كرسيًا" بدون أرجل أو مسند، متى يفقد صفته ككرسي؟ هذه العملية تساعد في تحديد الصفات الجوهرية للشيء.

Cp. Husserl, E (2012) Ideas General Introduction to Pure Phenomenology, Translated by Gibson, W. R. Boyce, Routledge, London, p 74.

See also, Husserl, E (1960) Cartesian Meditation an Introduction to Phenomenology, Translated by Cairns, D. Martinus Nijhoff Publishers, pp. 21-22.

[53] Sellars, W (1975) The Adverbial Theory of The Objects of Sensation, In Metaphilosophy, John Wiley & Sons, Inc, Vol. 6, No 2, p ١٤٥.

٢) كانت البسمة على وجه يوسف ماكرة.[٥٤]

تحليل الموقفين سيكون خطأ إذا كان كالتالي:

١.أ) هناك شيء يُدعى ڤالس، والذي يعتبر علاقته بجميلة هو الرقص.

٢.أ) هناك شيء مميز على وجه يوسف، والذي هو بسمة، وماكرة وهما في علاقة وجود مع يوسف.[٥٥]

١.ب) جميلة ترقص ڤالسًا.

٢.ب) يوسف يبتسم مكرًا.[٥٦]

يعبر المثال (١،٢)أ عن وجود الفعل أكثر من المثال (١،٢)ب، أما المثال الأخير يوضح سمة النشاط الذي يقوم به كل من جميلة، ويوسف. وهذا هو هدف النظرية الظرفية، حيث تحاول تحليل التفاصيل الوجودية عن طريق تحويل الفعل إلى حال.[٥٧] وبناءً على هذا الأساس تسعى النظرية إلى القول بالفعل، والظرف كبدائل للفعل، والموضوع في نظرية المعطيات الحسية التقليدية. بالتالي ستصبح السمات النوعية للألم عبارة عن ظرف يخص الفعل، لا معطى حسي مثل النظريات السابقة.

هذا التحليل يمكننا من فهم كيف يمكن أن يكون الألم مضللًا، أو ناتجًا عن الهلاوس. على أساس أن في تحديد الألم نأخذ في اعتبارنا الظرف الماثل أثناء الشعور به، عن طريق تحويل الفعل إلى ظرف للتأكد من وجوده. فمثلًا إذا كان شخصًا يشعر بألم نتيجة التعرض لحرق، فإن الألم هنا كموضوع مُدرك لا يمثل شكلًا كما في مثال التفاحة، وهو أيضًا معطى حسي – شخصي– لا يتشارك في رؤيته الآخرون مثل التفاحة، ووعي هذا الشخص بالألم لا ينفصل عن وعيه بكيفية الألم –الظرف/الحرق– مثلما يتضح لنا في مثال الڤالس – أي كما لا ينفصل الرقص عن كيفيته والتي تُسمى ڤالس– ومن هنا نستطيع القول بإن الفعل، والظرف طرفان للنظرية الظرفية، وهما في الأساس مثيلان للمعطيات الحسية، والنظرية الإدراكية، ولكن بإضافة الكيفية أو الظرف. وبعبارة أخرى تمثل الظرفية حلًا لمشكلة الهلوسة على اعتبار أنها تضيف بُعدًا وجوديا للمعطى الحسي باعتباره ظرفًا.[٥٨]

---

[54] Aydede, M (2005) Introduction A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain, p 20.

[55] Lock-Cit.

[56] Lock-Cit.

[57] Lock-Cit.

[58] Pitcher, G. (1971) Theory of Perception, Princeton University Press, Princeton, p 39.

إن الظرف هو صفة وجود الفعل، والنظرية الظرفية تشير إلى "ظرف" الألم على أنه هو وجوده الفينومينولوجي، وتلتزم النظرية بوجود الظرف وجوداً ميتافيزيقًا مجردًا،[٥٩] سواء كان مشار إليه على أنه مثلًا حارقًا، نابضًا، ضاغطًا، وغيره من أحوال. على هذا الأساس فإن النظرية الظرفية هنا تعزز وضوح وجود الألم عن طريق الفصل بين الألم، وصفاته. مما يمكننا من تحديد معايير الألم وفقًا لما يُنسب إليه من صفات من شأنها أن تشير إلى حدته، ووضعه محتمل أم لا، وموضعه، ومداه، ومدته. وكل هذه المعايير حينما تتحدد تستقبلها الخبرة بالألم، مما يثقل الإدراك ببعض التفسيرات بإزاء الألم في المستقبل، حيث يصبح صاحب الخبرة لديه حدس يمكنه من التنبؤ بمسببات الألم الخارجية.

طبق الفيلسوف مايكل تي Michal Tye [١٩٥٠-]* الظرفية على تجربة الألم. فوفقًا لـــــمايكل تي، عندما نشعر بالألم، فإن الإحساس بالألم يشبه ظرفًا يغير من طبيعة الفعل "الشعور". وعلى ذلك فإن:

← الألم ليس شيئًا أو كيانًا مستقلًا، بل هو طريقة للإحساس.

← صفات الألم (مثل: حاد، حارق، نابض): تتعدى فعل الإحساس، بأن تصف كيف يحدث الإحساس.

وبناءً على ما سبق فإن نظرية مايكل تي الظرفية تتحدى وجهات النظر التقليدية للألم من حيث:

- الألم شرط ظرفي: الألم هو شرط للتجربة الحسية، وليس موضوعًا للإدراك.
- لا ألم دون حس: لا يمكن للألم أن يوجد بشكل مستقل عن التجربة الحسية.

فلنتخيل مثلًا الموقف التالي:

- يوسف لديه ألم حاد.
- يتألم يوسف (بحدة).

ترمز الصفة بحدة إلى الألم الذي يشعر به يوسف، وهذه الصفة عبارة عن محمول لا يمكن وجوده دون موضوع (ألم يوسف) ويجب أن يكون الموضوع مماثلًا للصفة المنسوبة إليه. فإذا أردنا الحديث مثلًا عن كيفية سير يوسف، أو كيفية تفكيره، لابد من أن يأتي المحمول مناسباً لوظيفة الموضوع، سريع/عميق.

---

[59] Tye, M (1984) Pain and the Adverbial Theory, American Philosophical Quarterly, Oct., Vol. 21, No. 4 p 320.

* مايكل تي Michal Tye: (١٩٥٠–) فيلسوف بريطاني، يعمل حاليًا أستاذًا في جامعة دالاس بالولايات المتحدة، متخصص في فلسفة العقل، الوعي، الإدراك، والتصور الذهني، وفلسفة الغموض. من أهم أعماله: ميتافيزيقا العقل ١٩٨٩، عشر مشكلات عن الوعي ١٩٩٥، الغموض وتطور الوعي2021 .

Cp. Michael Tye Accessed 14 November 2024.

ويوضح مايكل تي أن هذه الخاصية في الظرفية التي تمثل صفات للألم، تعبر عن الألم في الموضع نفسه، أما اختلاف موضع الألم، وحدوثه لا يعبر عنه منطقياً بالفرضية نفسها، أي تنطبق الصفات المتعددة على الألم لتقدم صورة عن مكان وجود الألم، إذ إن وجوده يُستدل عليه بصفاته.

- **تعقيب.**

تقع هنا مشكلة تواجه النظرية الظرفية، فبالرغم من أن النظرية تحل الإشكال الوجودي للألم كما هو الحال في النظرية الإدراكية –الذبحة ألم بالقلب أم الكتف كمثال– على أساس أن صفة الألم يكمن فيها وجوده الميتافيزيقي، إلا أن شكوى صاحب الطرف الصناعي بألم في قدمه المبتورة مازالت تواجه مشكلة.

فإذا قلنا يوسف لديه ألم في قدمه الصناعي، هل تعتبر هذه الشكوى معقولة؟ يؤكد مايكل تي على تحليل هذه الفرضية منطقياً، فيقول:

← يوسف لديه مكان يحل محل قدمه، التي تم بترها، ولا يوجد محلها شيء جسماني.

← يوسف لديه شيء يشغل مكان قدمه التي كان يشعر بالألم فيها.[٦٠]

أشار كورت باير Kurt Baier [١٩١٧- ٢٠١٠]* إلى أنه من الممكن الخطأ في تحديد موضع الألم، ويبرر ذلك بأنه في بعض الحالات مثلًا يشعر الشخص بالحكة في مكان ما، وإذا مرر إصبعه عليها، يكتشف أن هذا المكان يخلو من هذا الشعور.[٦١] وتبعاً للتأملات الديكارتية فإن لكل شخص –على حدة– ميزة الشعور بما يطرأ في جسمه، بالتزامن بين العقل والشعور، وعن طريق هذه الميزة، يستطيع كل شخص إدراك ما يحدث في جسمه. ناقش ديكارت ميزة القدرة على الشعور بما يحدث في الجسم، حيث أشار إلى الألم على أنه من ضمن طرق الاستدلال على ما يحدث في الجسم. وبالتأكيد هذه الميزة تخص صاحب الجسد فقط، أي أن الطبيب المختص لا يستطيع القيام

---

[60] Tye, M (1984) Pain and the Adverbial Theory, p ٣٢٢.

* كورت باير Kurt Baier: (١٩١٧ – ٢٠١٠) فيلسوف نمساوي، متخصص في فلسفة الأخلاق، والفلسفة التحليلية، أجبره أصله اليهودي على تخليه عن دراسته للقانون والفرار كلاجئ إلى إنجلترا عام ١٩٣٨ بعد استيلاء النازيين على وطنه. وتم ترحيله في عام ١٩٤٠ إلى معسكر اعتقال في أستراليا. وحصل على درجة البكالوريوس والماجستير في جامعة ملبورن وفي عام ١٩٥٢ حصل على درجة الدكتوراه في أكسفورد تحت إشراف ستيفن تولمين. عاد لاحقًا إلى أستراليا ودرّس في جامعة ملبورن والجامعة الوطنية الأسترالية. كان باير أحد أكثر الفلاسفة تأثيراً في مجال فلسفة الأخلاق في النصف الثاني من القرن العشرين. وهو أحد الفلاسفة المسؤولين بشكل أساسي عن إعادة مجال فلسفة الأخلاق من لغة الأحكام الأخلاقية إلى وصف وتبرير الأدلة على السلوك الأخلاقي. ومن أهم أعماله: المنظور الأخلاقي ١٩٥٨، النظام العقلي والنظام الأخلاقي ١٩٩٥، العقل ومجتمع الأخلاق ١٩٩٥، مشكلات الحياة والموت ١٩٩٧.

Cp. Encyclopedia - Baier, Kurt 1917 Accessed 14 November 2024.

[61] Baier, Kurt (1964), The Place of a Pain, in: The Philosophical Quarterly, Vol. 14 p. 141.

بهذا الاستدلال إلا عن طريق وصف المريض لشعوره[٦٢] – الذي لا يمكن الوصول إليه إلا عن طريق هذا المريض – أي أن الشعور والألم بالأخص لا يُرى بعين الطبيب.

يحدث الخطأ كما علق مايكل تي، إذا أخطأ الشخص في تحديد موضع الألم. وهذا كثيراً ما يحدث على اعتبار أن علاقة العقل بالجسم هي علاقة خاصة لا يصل إليها سوى الوعي عن طريق الإدراك.

وبالنظر إلى من تم بتر قدمه، والذي يشكو أحيانا من شعوره بألم في قدمه المبتورة، حينما لا يكون على دراية ببتر قدمه فيحدد موضع ألمه بكل ثقة في القدم المبتورة. يكون شعوره بقدمه أحياناً كما لو كانت مازالت موجودة، على اعتبار إنه لديه صورة كاملة مسبقة على قدمه، وعضلاتها، وشعورها، وشعوره بالألم فيها، ثم يتزامن توقف شعوره بها مع اختفاء القدم من خبرته مع مرور الوقت.[٦٣] وبذلك يمكننا أخذ هذا المثال للتأكيد على أن الألم وجوده لا مكاني، ولكنه يعود لإدراك الشعور بجزء من الجسم كظرف يمر به.

وأخيراً يجب علينا أن نفرق بين موضع الألم، وموضع مسبب الألم، لأنهما أحياناً لا يشغلان المكان نفسه مثل حالة الذبحة، وكثير من حالات آلام العمود الفقري.

وبذلك نستطيع القول بإن النظرية الظرفية تعد من أدق النظريات في تحديد طبيعة الألم، وإدراكه. أي أنها وحلت أزمة وجود الألم التي واجهت النظرية الإدراكية، ولكنها لم تستطع الإجابة على معضلة شكوى أصحاب الأطراف الصناعية من ألم في هذه الأطراف، ففينومينولوجيا الألم مازالت قيد البحث الفلسفي..

نظرية التمثل*. Representationalism.

يفتقر الإحساس الجسمي إلى القصدية، بعكس الخبرة الإدراكية، حيث يمكننا أن نميز ما بين الخبرة المرئية، والخبرة بشيء ما –مثل الفرق بين التفاحة التي أراها، وشكل التفاحة في ذاكرتي– ولكننا لا يمكننا أن نقوم بالتمييز نفسه بصدد الألم. والمقصود هنا أن الخبرة المرئية

---

[62] Baier, Kurt (1964) The Place of a Pain, p. 138.

[63] Ibid, p.١٤٠.

* التمثل: هي نظرية في فينومينولوجيا الألم، تقول بإن الألم هو تمثيل ذهني للضرر الجسدي وليس شعوراً ذاتياً بحتاً. وقد قدم ديفيد أرمسترونج نظرية مادية للعقل تشير إلى أن الألم هو حالة وظيفية تمثل الضرر الجسدي وليس إحساساً جوهرياً. ومنها استطاع فريد دريتسكي تطوير هذه النظرية حيث قدم نسخة قوية من التمثل، مدعياً أن جميع الحالات الواعية – بما في ذلك الألم – تستمد هويتها مما تمثله. ومايكل تي الذي زعم أن الألم هو شكل من أشكال المحتوى التمثلي غير المفاهيمي، مما يعني أنه يتمثل بسبب الضرر أو التلف دون الحاجة إلى تفكير.

Cp. Dretske, F. (1995) Naturalizing the Mind, MIT Press, P xiii.
See also, Tye, M. (1995) Ten Problems of Consciousness, MIT Press, p xi.
See also, Armstrong, D. (1968) A Materialist Theory of the Mind. Routledge, p 1.

يتمثل أمامها العالم كما هو موجود، لكن الألم ليس له مضمون تمثّلي[٦٤]. بيد أن إدراك الألم، أو الشعور بالألم يمكننا تمييزه فينومينولوجيًا، عن طريق الوصف، فإدراكه أو الشعور به لديه ما يسمى بالمضمون النوعي*. ولكن، بافتراض أن الألم له مضمونًا، فهل يتم تحديد الطبيعة الفينومينولوجية للألم بشكل كامل من خلال هذا المضمون؟ بالتأكيد يتم تحديد الطبيعة الفينومينولوجية للألم عن طريق تمثلها. فما هو المقصود بالتمثل؟

تشير نظرية التمثل إلى أنه من الممكن أن يكون لدي خبرة برؤية التفاحة حمراء اللون في الذاكرة، واستحضارها حتى وإن لم تكن التفاحة أمامي الآن، والعكس صحيح، يمكنني أن أرى التفاحة ذات اللون الأحمر من دون أن تقع في مجالي خبرتي مسبقًا. أما الشعور بالألم، وخبرة الشعور به لا يسير الأمر على المنوال نفسه، حيث إن شعوري بألم ضاغط على ظهري يمثل وجود ضغط على ظهري بالفعل. أي أن الألم لا يمكن الفصل بين وجوده وتمثُله.[٦٥] والشعور به هو الدليل على وجوده.

بناءً على هذا الأساس نستطيع القول بأن هناك وجهين للألم: الوجه الأول هو ما يشعر به الشخص الذي يعاني فيعبر عنه بـــ"الوصف"، والوجه الآخر هو هوية الألم كـــ"محفز للألياف العصبية C" في علم الأعصاب*، مثلما نصف طبيعة الماء بالنسبة للكيمياء أنها "H_2O"، لكن ذلك لا يعبر عن مفهوم الماء المتداول.[٦٦] أو فينومينولوجيا الماء.

ويعود الفضل في قبول الفلاسفة لفكرة أن الألم يمثل شيئًا في العالم، وليس مجرد شعور ميتافيزيقي لفرانتس برنتانو، الذي رأى أن الألم هو شعور يوجه بشكل قصدي إلى مضمون الحس.[٦٧]

---

[64] Mcginn, C. (1982) The Character of Mind an Introduction to The Philosophy of Mind, Oxford University Press, Oxford New York, p 8.

* Qualitative Content. Cp. Mcginn, C. (1982) p. 9.

أن يكون الألم ناجمًا عن "الحروق، أو الوخز، أو الحكة، أو الضرب"، ويمكننا التفريق بين نوع الألم، ومدة الشعور به، وأيضا موضعه في الجسم.

[65] Cutter, B. (2017) Pain and Representation, The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Corns, Jennifer. Routledge, England, P.P 29-30.

* سبق وأن أشار هسرل إلى أن الألم يتشكل من شعور غير قصدي، ذا طبيعة مزدوجة، متأثرًا بأستاذه ستامبف الذي أشار إلى صفتين أساسيتين في الألم: أولًا أن الألم غير قصدي، حيث يختلف عن وصف مشهد طبيعي بأنه جميل، أو الطقس بأنه لطيف، فهنا الشعور الوصفي يكون قصديًا بناءً على موضوع خارجي. أما الفرق الثاني في البنية؛ فالألم له بنية معرفية، وله بنية وجودية منطقية.

Cp. Geniusas, S. The Phenomenology of Pain, Ohio University Press, Ohio, p 55.

[66] Mcginn, C. (1982) p١٨.

[67] Hardcastle, V. (2017) A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Jennifer Corns, Routledge, London, p 20.

وقد كانت النظرة التقليدية للألم تعتبر الألم يفتقر للمضمون التمثلي، حيث لا يمكن التمييز بين مظهره وحقيقته.[٦٨] ويشير دريتسكي إلى أن التمثل هو أن نرى كل الحقائق الذهنية على أنها حقائق متمثل**، أي أن طبيعة الخبرة، وكيف تبدو لنا الأشياء على المستوى الحسي، تتشكل أساساً من خصائص الأشياء كما تظهر لنا. ويعني ذلك أن خبرتي بالشيء تعتبر الحصيلة الكلية لظهور هذا الشيء بالنسبة لي.[٦٩] ولكن ذلك ينطبق على الخبرات الحسية الخارجية كالمرئية، والمسموعة مثلا، بعكس الخبرة "الحسية الجسمية"*** في حال الشعور بالألم.

إن فرضية الاتصال بين التمثل والواقع فيما يتعلق بالألم يمكن فهمها من خلال الخطوات التالية:

إذا كانت الخبرة بالألم لها مضمون تمثلي، فهو يشتمل على بعض الخصائص مثل– أن يكون قابلًا للخطأ، بالإضافة إلى استقلاله –كمضمون– عن الخبرة. واعتماداً على مبدأ هذه الفرضية تكون الحجة كالتالي:

أ– إذا كان للألم مضمون تمثلي، فإن هذا المضمون قابل للخطأ، ومستقل عن الخبرة.*

ب– إذا كان للخبرة بالألم مضمون تمثلي قابل للخطأ، ومستقل عن الخبرة، إذاً يمكن أن يوجد خبرة بالألم دون وجود الألم (قابلية الخطأ)، أو يوجد ألم دون حصولي على الخبرة بالألم (مستقل عن الخبرة).

ت– وبما أنه من المستحيل أن يوجد ألم دون الشعور به – على أساس أن الشعور بالألم غير قابل للخطأ– أو أن يوجد الألم دون إدراكه كخبرة مباشرة، إذن خبرة الألم لا تحتوي على مضمون تمثلي.[٧٠]

---

[68] Armstrong, D.M. (1968) Bodily Sensations, Routledge, London, P 65.

** Representational Facts. Cp. Dretske, F (1995) Naturalizing the Mind, p 1.

[69] Dretske, F. (1995) Naturalizing the Mind, MIT Press, Massachusetts, p 1.

*** الحسي جسمي Somatosensory: هو النظام الحسي الجسمي ويعبر عن آلية الوعي. ويوجد في القشرة المخية Cortex. Cp. Price, D. and Aydede, M. (2005) The Experimental Use of Introspection in the Scientific Study of Pain and Its Integration with Third-Person Methodologies: The Experiential-Phenomenological Approach, in: Pain New Essays on Its Nature and the Methodology of Its Study, edited by Aydede, M. the MIT press, Massachusetts p258.

* المراد باستقلاله عن الخبرة، أي أنه يتمثل ظاهريا بخصائص محددة، فمثلا في مثال الكرة الحمراء، تعد خصائص الكرة "التمثلية" هي الشكل الدائري، واللون الأحمر، وخصائصها الفيزيائية هي الحجم، والوزن، والقطر، وهكذا. والخبرة تحتفظ دائماً بالمحتوى التمثلي. أي ما يظهر لي فينومينولوجياً. (الباحثة)

[70] Cutter, B. (2017) Pain and Representation, p 30.

بيد أنه لغوياً تعد أفعال الإدراك أفعالًا انتقالية – أي تكون نتيجة لمدخلات- أما الكلمات التي تعبر عن الشعور الجسمي فتكون وصفية، ولكن الاثنان يحملان معنى فينومينولوجياً، يصف وصفًا ماهوياً لنا في الخبرة الإدراكية.[٧١]

ورغم نتيجة الحجة السابقة القائلة بافتقاد خبرة الألم لمضمون تمثلي، إلا أنه مازال هناك بعض الملاحظات التي يمكن من خلالها الارتكان إلى إمكان إثبات وجود مضمون تمثلي للألم. وهي كالتالي:

١- تمثل الخبرة غير مرئي: إذا أردنا تأمل خبرة اللون الأزرق مثلا، نرى اللون الأزرق متمثلًا في الذهن دون أدنى مجهود، رغم عدم ظهوره أمامنا في تلك اللحظة. بناءً على ذلك، فإن هذه الصورة التي نتذكرها –المضمون التمثلي للأزرق- غير مرئية.

٢- موضع الشعور بالألم: إذا شعرت بالألم مثلًا في قدمي، فإنه يبدو لي أن قدمي ليست على ما يرام، وعتريها حالة من الاضطراب، وبناءً على ذلك فإن هذه الحالة يمكن أن نعتبرها صورة الألم أي "تمثله".[٧٢]

إذا تأملنا مثال (٢) إن الألم الذي أشعر به في قدمي يعتبر هنا معطيات فينومينولوجية يدعمها الاستبطان*، هذا الألم هو صورة الشعور، والتي هي حلقة الوصل بين الحالة الجسدية، وإدراكها. وإذا كانت الحالة الجسدية هذه – تألم في قدمي – هي صورة عما أدركه، إذن تألم قدمي يمثله الألم، وبذلك يكون الألم له محتوى تمثلي.[٧٣]

أشار أرمسترونج وبيتشر إلى أن الخبرة بالألم تعتبر "زمانية-مكانية"، بالإضافة إلى جوانبها النوعية، مثل أن يكون ألم من جراء "الحروق، أو الوخز، أو الحكة، أو الضرب"، ويمكننا التمييز بين أنواع الألم، وأيضا يكون له مكان في الجسم، ومدة الشعور به، كل هذه الخصائص تفسر ماهية الألم، كخبرة غير "متمثلة"، إلا أنه في اعتقادي توصيف الألم بأكثر من معيار سواء كان مكاني "مكان الألم"، أو نوعي، أو زماني يُضع حجر الأساس لفينومينولوجيا الألم

---

[71] Mcginn, C. (1982) The Character of Mind an Introduction to The Philosophy of Mind, Oxford University Press, Oxford, p 9.

[72] Cutter, B. (2017) Pain and Representation, p 32.

* الاستبطان Introspection: هو التأمل الداخلي لمضمون الأفكار، والمشاعر، والإدراك من فحص وتفنيد لحالات الفرد الذهنية والوعي الذاتي. ويُستخدم هذا المفهوم بشكل أساسي في **الفلسفة وعلم النفس** لوصف الطريقة التي يكتشف بها الشخص حالاته الداخلية دون الاعتماد على الملاحظة الخارجية. ولكن يبدو أن التأمل الداخلي لا يكشف عن أية سمات مميزة أخرى للتجربة تتجاوز ما يختبره المرء أثناء خضوعه للوهم. وقد استخدم ديكارت الاستبطان كأساس ليقينه في عبارة" **أنا أفكر، إذن أنا موجود**"، حيث اعتبر أن العقل يدرك وجوده مباشرة من خلال التفكير الذاتي. وفرّق جون لوك بين **الإحساس** (Sensation)، الذي يتعلق بالعالم الخارجي، و**الاستبطان** (Introspection)، الذي يسمح للعقل بتحليل أفكاره الداخلية. وقد طوّر هسرل منهج الاستبطان الفينومينولوجي عند ديكارت من خلال "الإيبوخية".

Cp. Husserl, E (1960) Cartesian Meditations an Introduction to Phenomenology, p 1.

[73] Ibid, p 33.

كتمثل لاضطراب جسمي. وإذا كان الألم يمثل شيئًا، فمن المنطقي أنه يختلف في حجمه، والذي نعبر عنه بمعايير الشدة والضعف.[٧٤]

وقد قامت وكالة رويتر عام ٢٠١١ بعمل تحليل إحصائي للأبحاث المنشورة عن الألم، بشأن تعيين شدة الألم، وكانت النتيجة أن الشعور بالألم له تأثير مباشر على الصيغة التعبيرية لمن يشعر به، بمعنى أن من يشعر بألم خفيف يقول "أشعر بألم"، ومن يشعر بألم حاد يعبر عن ذلك بقوله "أتألم". وبذلك نستدل من التعبير الأول بأنه قام بحالة استبطان –إدراك داخلي– لحالة ذهنية، أما التعبير الثاني هو دلالة على ضرر جسماني.[٧٥]

حاول مايكل تي أن يوضح ماهية تمثل الألم، فقال: "لنتخيل وخزاً في قدمي، فينومينولوجيا يبدو لي هذا الألم بشكل لا يمكن إنكاره، والوخز هنا هو سمة الخبرة بالشعور في قدمي، ولكنه ليس ماهية الخبرة نفسها".[٧٦] أي أنه يريد أن يقول إن هذه السمة –الوخز– هي تمثل للاضطراب الذي اعترى قدمي. وأضاف: "إن الألم هو التمثل الشعوري لحالة تلف بالجسم، ورد الفعل الميكانيكي لحالة الجسد – بشكل مماثل لفعل الرؤية كرد فعل ميكانيكي للمحفزات البصرية – هو شعور مستقبلات الألم الحسية بالانزعاج. إن وظيفة هذه المستقبلات تشبه شبكية العين، فهي ناقلات بالغة الدقة بشأن تلف الخلايا، ومتصلة مباشرة بالذهن، وتقوم بتحويل المدخلات إلى رموز لا تتضمن "صورة" معينة، حيث لا نحتاج تصوراً معيناً للشعور بالألم.[٧٧] مجرد الرموز تفي بالغرض، وعلى هذا الأساس أعتقد أن هذا هو التعليل المناسب للـــــموقف الذي تحدث فيه لحظة الحرق نفسها، أحيانا يختلط علينا الأمر –لأقل من ثانية– ما إذا كانت هذه اللسعة ناجمة عن سخونة أم برودة.

وأحيانا يكون تحديد موضع الألم عرضه للخطأ، ويفسر ذلك كورت باير بأن في بعض الحالات حينما لا يرى المريض جزءاً من جسمه، ويشكو من وخز في هذا الجزء، ثم يقوم الطبيب بالضغط على موضع الألم الحقيقي، فيقتنع المريض بأن شكواه السابقة لم تكن تحدد موضع الألم بدقة.[٧٨]

---

[74] Klein, C. and Martínez, M. Imperativism and Pain Intensity, in: Philosophy of Pain Unpleasantness, Emotion, and Deviance, Edited by Bain, D. and Brady, M. and Corns, J. Routledge, New York, 2019, p 14.

[75] Hardcastle, V G (2017) Brief and Potted Overview on The Philosophical Theories of Pain, p 25.

[76] Tye, M. (1996) Ten Problem of Consciousness a Representational Theory of The Phenomenal Mind, Mit Press, Massachusetts, p113.

[77] Ibid, p.p 113-114.

[78] Tye, M. (1984). Pain and the Adverbial Theory. American Philosophical Quarterly, 21(4), p 323.
Tye, M. Pain and Adverbial Theory

ومن هنا فإننا يمكننا إيجاز الحجج السابقة على النحو التالي:

- في حالة الشعور بالألم، يكون للألم سمات محددة (فينومينولوجيا الألم/ المضمون النوعي: كالوخز، أو الحرق، أو الحكة، أو اللدغة، وغيرها من السمات)، بالإضافة إلى مدة الألم، موضع الألم بالجسم، ومداه، وشدته.
- وإذا كانت خبرة الألم تمثل هذه السمات التي تتجسد أثناء الشعور بالألم، إذًا الخبرة بالألم لها مضمون تمثلي.[٧٩]

إن نظرية التمثل في العقل تُعنَى بالحقائق الذهنية، وهذه الحقائق الذهنية لا تتأسس بسبب الطبيعة الجوهرية للأحداث التي تجري داخل الذهن؛ بل من خلال العلاقات بين هذه الأحداث الداخلية كنتيجة للشئون الخارجية.[٨٠] أي أن هدف التمثل للعقل هو:

١- اعتبار الحدس شيء مشترك بين البشر، مع التأكيد على إن الخبرة لها جوانب "نوعية"*، ذاتية، أو خاصة: أي ليس بالضرورة أن تُعبر الخبرة عن ذاتها بالظهور في السلوك، أو التصرفات للدلالة على وجودها.

٢- أنها تقدم توضيحاً للخبرة الحسية، مما يتيح وصف الخبرة النوعية بشكل موضوعي.[٨١]

وبناءً على ذلك فإن في حالة الشعور بالألم – كحالة داخلية– تكون العمليات الذهنية حينها في ملاحظة وبحث لتقوم بالربط بين الشعور الداخلي "الألم"، وعلاقته بالأحداث الخارجية "كمسبب للألم".

بيد أن الألم كـــــ"مضمون" يختلف فينومينولوجيا عن الحقائق المتمثلة في العالم. حيث يوضح دريتسكي أن الألم، وبعض أنواع الشعور؛ كالوخز، والحكة، والجوع، والعطش عادةً ما يُنسبوا إلى "الوعي". إلا إن الألم بالتحديد لا يعتبر حدث ذهني يجعل صاحبه واعٍ به، مثلما يحدث في حالة الخبرة البصرية بـــــ"الشجرة" مثلا، فهي الخبرة بشيء خارجي. أما الألم فهو الوعي بظرف جسدي مصاب أو مضطرب. حيث إن السمات التي نعيها أثناء عندما نختبر الألم ليست سمات لأحداث ذهنية، بل هي خصائص لحالة جسدية.[٨٢] والجدير بالذكر أن الخبرة بالألم من الخبرات التي يمكن للمرء مشاركتها مع الغير، لا يمكنني أن أشعر بنفس مع يشعر به غيري حتى مع وصفه الدقيق، الألم وخبرته تنتمي لمن يشعر به فقط.[٨٣]

---

[79] Cutter, B. (2017) Pain and Representation, In the Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Corns, J. Routledge, Oxon, P 33.

[80] Dretske, F. (1994) Naturalizing the Mind, The MIT Press, Massachusetts, p 40.

* the qualities of experience- qualia - with the properties objects are represented as having. Cf Dretske, F. (1994) Naturalizing the Mind, p65.

[81] Ibid, p.٧٢

[82] Ibid, pp. 102-103.

[83] Tye, M (1996) Ten Problems of Consciousness a Representational Theory of the Phenomenal Mind, p 11.

- **تعقيب:**

استطاعت النظرية حل الخلل بالنظريات السابقة من أزمة وجود الألم، أم سمات الألم، أم شكوى الأطراف الصناعية. ولكن رغم أن نظرية التمثل تعد من أقوى نظريات فينومينولوجيا الألم إلا أنها لم تثبت جدارتها حيث يمكن أن نجد بعض الآلام لا تتمثل، ولا يشعر بها صاحبها إلا بعد تفاقم تلف الخلايا مثل آلام السرطان. بل إنه من الممكن تشخيص المرض، والوعي به من دون أي تمثل للألم. وحتى الآن مازالت فينومينولوجيا الألم قيد البحث والتطوير.

- **نتائج.**

تعتبر هوية الألم هي التكوين الأساسي للتنبيه الذهني لمحفز الألياف العصبية C، وليس الشعور به، بالتأكيد الشعور به ما يُعبَر عنه بالوصف، لكنه لا يعبر عن هوية الألم نفسها –أي الطريقة التي يتناول بها الجسم الألم– مثل الفرق بين الشكل الظاهري للماء، وتركيبه الكيميائي H_2O. وتعد الدراسة الفينومينولوجية للألم لم تقف على المفهوم المعنوي للألم فحسب، بل تعمقت في علم الأعصاب. ومن هنا فإن كلمة الألم – حتى في الحديث الفلسفي– لا تعني فقط الآلام العصبية النفسية، بل أيضاً الآلام العصبية الجسمانية. ومن خلال البحث في نظريات الألم يمكننا مقارنة النظريات كالتالي:

• النظرية:	• كيف تفسر الألم؟
• المعطيات الحسية. (Sense Data Theory)	الألم هو اقتران بين (الفعل–الموضوع) أي المسبب والنتيجة.
• الإدراكية. (Perceptual Theory)	الألم هو إدراك لخلل أو تلف في الجسم، ويفرق الإدراك بين شتى أنواع الألم كالوخز، والحكة، والكدمة. ويقع إدراك الألوان والأصوات من ضمن المنبهات التي يتنبه لها الإدراك ويميز بين الألوان، والأصوات.
• الظرفية. (Adverbial Theory)	تعتبر الألم ليس شيئًا يُدرك، بل هو طريقة معينة للشعور والوعي، أي حال الشعور.
• التمثل. (Representational Theory)	الألم يمثل حالة الجسد أثناء حدوث تلف جسماني، ويعد إشارة لحدوث ضرر.

ومن ثم يمكن الإجابة عن تساؤلات البحث كالتالي:

١- ما مفهوم الألم، وما طبيعته، وما أهم سماته؟

اتفق العلماء على تعريف الألم على أنه شعور سيء يدل على حدوث تلف في الخلايا بالجسد، وبرغم أنه يتميز بطبيعة حسية جسدية إلا أنه لا يتمتع بمكانة مادية في الجسد، ونستدل على ذلك من شكوى ذوي الأقدام المبتورة من الشعور بالألم في مكان القدم التي هي غير موجودة، وكأن ذلك يعني أن الألم هو ظرف يصف حالة التألم، وليس له شكل يمكن رؤيته، ولا يُعرف إلا عن طريق وصف المتألم نفسه.

٢- ما الأسس التي تقوم عليها نظرية المعطيات الحسية في تفسير ظاهرة الألم؟

يعتمد الشعور بالألم على عنصرين أساسيين:

- المحفزات الجسدية، وهي التي يحدث فيها التلف أو الاضطراب.
- الناقلات العصبية، وهي غاية في الدقة تقوم بنقل إشارات إلى المخ للتنبيه بحدوث تلف.

وبذلك فإنه لا يشترط اقتران الفعل، والموضوع – في نظرية البيانات الحسية – للشعور بالألم. أي أنه يمكن حدوث بعض الآلام دون مسبب خارجي "الفعل".

٣- ما أهم خصائص النظرية الإدراكية؟

لا يمكن تحديد وجود الألم بالجسد لأنه ينقسم إلى جزئين –في الإجابة السابقة– فربما يكون الشعور به كإحساس في مكانٍ، والضرر الحقيقي في مكان آخر. وبذلك فقد يقع تحديد مكان الألم في كثير من الأحيان للتشويش والمراوغة، إلا أنه لا ينتقل من مكان إلى آخر، ولكن قد أشعر به في مكان مقارب لمصدر التلف. ويعتبر الشعور بالألم ليس شرط لوجوده – حيث لا نشعر بالألم عن طريق التخدير/والمسكنات – مثلما أشارت النظرية الإدراكية، ويستغل الأطباء هذه الميزة في القيام بالعمليات الجراحية، فيكون المريض في وضع شديد الألم لكنه لا يعي ذلك.

٤- إلى أي مدى تمكنت النظرية الظرفية من تفسير ظاهرة الألم؟

برغم أن النظرية الظرفية تُعتبر من أكثر النظريات دقة في تفسير طبيعة الألم وإدراكه، حيث نجحت في تجاوز الإشكالات التي واجهتها النظرية الإدراكية بشأن وجود الألم. ومع ذلك، لم تتمكن من تقديم تفسير واضح لمعاناة أصحاب الأطراف الصناعية من آلام في أجزاء لم تعد موجودة. لذا، لا تزال فينومينولوجيا الألم موضوعاً للبحث الفلسفي المستمر.

مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد– مجلة علمية محكمة– ديسمبر ٢٠٢٤م

٥- كيف فسرت نظرية التمثل ظاهرة الألم في ضوء الأسس التي تقوم عليها؟

إن تمثل الألم يشبه فكرة التجسد، حيث يشير الوعي بالألم إلى تمثله، وقد فسرت النظرية فينومينولوجيا الألم من خلال المحتوى النوعي للألم بحيث بذلك تكون أوجدت حلولاً للخلل الموجود بالنظريات السابقة. إلا أن يؤخذ عليها أن بعض الآلام لا تتمثل.

٦- هل يمكن تمثل خبرة الألم، مثلما تتمثل في الذاكرة الخبرة المرئية؟

خبرة الألم لا تتمثل، ولكن ما يمكن تمثله هو شعوري تجاه هذا الألم، مثل المرأة حينما تذكر معاناتها أثناء الوضع، فهي لا تصف الألم نفسه بس المؤثرات التي شعرت بها كرد فعل للألم.

وفي اعتقادي أن أجدر النظريات التي استطاعت وصف الألم فينومينولوجياً وبشكل منطقي هي النظرية الظرفية، حيث إن اعتبار الألم "ظرف" يسهّل من تفسير الشعور به دون مسبب، ويشير إلى محتواه النوعي كصفات منفصلة تختزنها الذاكرة في الخبرة بالألم، دون الحاجة إلى إثبات تمثل خبرة الألم.

قائمة المراجع والمصادر.

أولًا المصادر الأجنبية:

Brentano, F (1995) Descriptive Psychology, Translated and Edited by Benito Müller, Routledge, London.

Descartes, René (1993) *Meditations on First Philosophy*. Translated by Donald A. Cress, 3rd ed., Hackett Publishing.

Husserl, E (1960) Cartesian Meditation an Introduction to Phenomenology, Translated by Cairns, D. Martinus Nijhoff Publishers.

————, (2000) Logical Investigations, Translated by J. N. Findlay, Routledge, London, (Vol 2).

————, (2012) Ideas General Introduction to Pure Phenomenology, Translated by Gibson, W. R. Boyce, Routledge, London.

Plato (1997) The Republic of Plato Book Vii, Translated by: Davies and Vaughan, Macmillan and Co. Cambridge.

Russell, B. (1917) Mysticism and Logic and Other Essays, The Floating Press, London.

ثانيًا المراجع الأجنبية:

Armstrong, D. (1968) A Materialist Theory of the Mind. Routledge.

———— (1962) Bodily Sensation, Routledge & Kegan Paul, London.

Aydede, M and Güzeldere, G. (2002) Some Foundational Problems in the Scientific Study of Pain, *Philosophy of Science*;69(S3): S265-S283. doi:10.1086/341851 p S269

———— (2005) Introduction: A Critical and Quasi-Historical Essay on Theories of Pain. In: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Jennifer Corns, Routledge, London.

Baier, Kurt (1964) The Place of a Pain, in " The Philosophical Quarterly, Vol. 14.

Beckermann, Ansgar, Brian P. McLaughlin, and Sven Walter (eds), *The Oxford Handbook of Philosophy of Mind* (2009; online edn, Oxford Academic, 2 Sept. 2009)

Binder, M. & Hirokawa, N (2009) Encyclopedia of Neuroscience, Springer, Heidelberg.

Bonica J. J. (1991). History of pain concepts and pain therapy. *The Mount Sinai journal of medicine, New York*, *58*(3)

Cheng, Wei (2018) Aristotle's Vocabulary of Pain, *Philologus* 163(1)

Christopher Macann: Four Phenomenological Philosophers, Routledge, London, 1993.

Cutter, B. (2017) Pain and Representation, In the Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Corns, J. Routledge, Oxon.

Dretske, F. (1995) Naturalizing the Mind, MIT Press, Massachusetts.

Geniusas, S (2020) The Phenomenology of Pain, Ohio University Press, Athens.

———— (2014). The Origins of The Phenomenology of Pain: Brentano, Stumpf and Husserl. *Continental Philosophy Review, 47.*

Hardcastle, V. (2017) A brief and potted overview on the philosophical theories of pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Edited by Jennifer Corns, Routledge, London.

Hill, Christopher S. (2017) Fault Lines in Familiar Concepts of Pain, in: The Routledge Handbook of Philosophy of Pain, Routledge.

Hollman, A. (1997) Sir Thomas Lewis Pioneer Cardiologist and Clinical Scientist, Springer, London.

Janzen, G (2012) An Adverbialist–Objectualist Account of Pain, Springer, Dordrecht.

Klein, C. and Martínez, M. (2019) Imperativism and Pain Intensity, in: Philosophy of Pain Unpleasantness, Emotion, and Deviance, Edited by Bain, D. and Brady, M. and Corns, J. Routledge, New York.

Kripke,S (1980), Naming and Necessity, Harvard University Press Cambridge, Massachusetts.

Lewis, T (1942) Pain, The Macmillan company, New York.

Mcginn, C (1982) The Character of Mind an Introduction to The Philosophy of Mind, Oxford University Press, Oxford.

Mehta N. (2011), Mind-body dualism: A Critique from a Health Perspective. In: Brain, Mind and Consciousness: An International, Interdisciplinary Perspective (A.R. Singh and S.A. Singh eds.), MSM, 9(1).

Pereplyotchik, David (2017) Pain and Consciousness, In the Routledge Handbook of Philosophy of Pain.

Pitcher, George (1970) Pain Perception, in The Philosophical Review, Vol. 79, No. Duke University Press.

———————— (1971) Theory of Perception, Princeton University Press, Princeton, New Jersey.

Price, D. and Aydede, M. (2005) The Experimental Use of Introspection in the Scientific Study of Pain and Its Integration with Third-Person Methodologies: The Experiential-Phenomenological Approach, in: Pain New Essays on Its Nature and the Methodology of Its Study, edited by Aydede, M. the MIT press, Massachusetts.

Sellars, W (1975) The Adverbial Theory of The Objects of Sensation, In Metaphilosophy, John Wiley & Sons, Inc, Vol. 6, No 2.

Tye, M (1984) Pain and the Adverbial Theory, American Philosophical Quarterly, Oct., Vol. 21, No. 4.

——— (1996) Ten Problem of Consciousness a Representational Theory of The Phenomenal Mind, Mit Press, Massachusetts.

——— (2008). The Experience of Emotion: an Intentionalist Theory. Revue Internationale de Philosophie, 62(243 (1)).

ثالثًا المراجع العربية:

صفاء عبد السلام جعفر، الوجود الحقيقي عند هايدجر، منشأة المعارف، إسكندرية، ٢٠٠٠.

عبد القاهر البغدادي، **الفَرق بين الفِرَق وبيان الفرقة الناجية** منهم، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٥، ١٩٨٢.

رابعًا المعاجم:

مراد وهبة، المعجم الفلسفي، دار قباء للنشر، القاهرة، ٢٠٠٧، ط ٥، باب الألف.

خامسًا المواقع الإلكترونية:

(PAIN TERMS and Definitions IASP, n.d.) Accessed 4 July 2024.

Armstrong, David Malet - Routledge Encyclopedia of Philosophy Accessed 14 November 2024.

Britannica - Philosophy of Mind Accessed 15 September 2024.

Dretske, Fred – Encyclopedia of Philosophy. Accessed 2 December 2024.

Encyclopedia - Baier, Kurt 1917 Accessed 14 November 2024.

Epicurus. Arts and Humanities Through the Eras Accessed 10 June 2024

Franz Brentano - Stanford Encyclopedia of Philosophy Accessed 14 December 2024.

George Pitcher - Princeton University Accessed 4 November 2024.

George Pitcher - Wikipedia, the free encyclopedia Accessed 4 November 2024.

IASP - Pain, Mind, and Movement Accessed 7 Sep 2024.

Michael Tye Accessed 14 November 2024

Pain and the Adverbial Theory Accessed 1 November 2024.

Perceptual Theory - Stanford Accessed 1 November 2024

René Descartes - Stanford Encyclopedia of Philosophy Accessed 14 November 2024.

Saul Kripke - Britannica Accessed 14 November 2024.

Stanford Encyclopedia of Philosophy - Pain Accessed 14 September 2024.

Stanford Encyclopedia of Philosophy - Sense Data Accessed 20 September 2024.

Tye, M. Pain and Adverbial Theory Accessed 30 November 2024.

Tye, M. The Experience of Emotion Accessed 30 November 2024.